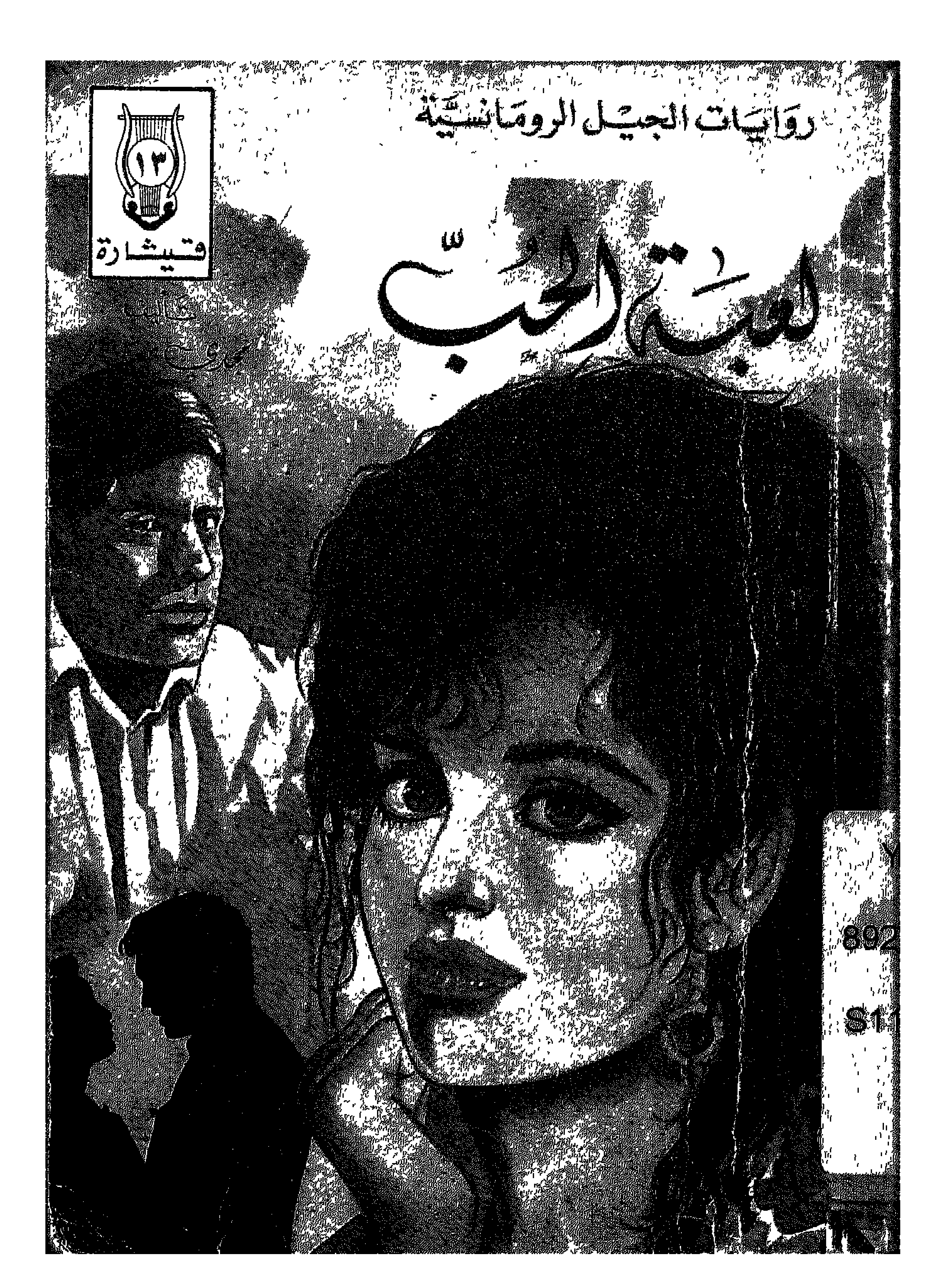
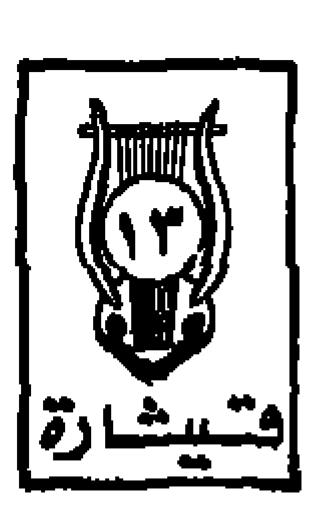

روايات الجيل الرومانسية
١٣
قيثارة
لعبة الحب

لعبة الحب



روايات الجيل الرومانسيّة



لعبة الحبّ

تأليف
مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

جَميع الحقوق محفوظة لِدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

«موعد تحت الأمطار»

دوى صوت هزيم الرعد في السماء. . والتمعت السحب الكثيفة المكفهرة عندما انفجر البرق في لون دموي. . كان المطر يتساقط منذ أكثر من ساعتين في ذلك المساء. مطر لم تشهد القاهرة مثيلاً له منذ سنوات مضت. . لدرجة أنه خلال ساعتين فقط امتلأت الشوارع بالمياه المتراكمة والأوحال. وأجبرت السيول المتساقطة الناس على الهرب من الطرقات والاحتماء في بيوتهم هرباً من نهر المطر المتدفق من السماء والبرودة التي تشبه الصقيع، التي تجمد الأطراف.

ولكن سالم بقي مكانه برغم جسده المرتعد. وأحكم إغلاق معطفه حول كتفيه وصدره وقد أخذته ارتجافة شديدة. أغرقه ماء المطر المتساقط كلياً. . ولم تفلح الشرفة التي وقف يلوذ

تحتها من أن تحميه من المطر العنيف .

وألقى نظرة ربما للمرة العاشرة إلى ساعته خلال دقيقة واحدة . .

السابعة والنصف تماماً.

تأخرت فاتن عن الموعد الذي ضربته له أكثر من نصف ساعة كاملة . .

همس يقول لنفسه وأسنانه تصطك من البرد ، بأنه لا بد أن شيئاً قد أعاقها عن المجيء في اللحظة الأخيرة . . وإلا ما تركته تحت سيل الأمطار في الطريق ينتظر مجيئها .

في الصباح قال لها في النادي : إن حالة الطقس في الجرائد تقول أن هذا المساء سيكون ممطراً .

فهمست تقول له في رقة : لن يمنعني شيء من أن أجيء في الموعد الذي اتفقنا عليه .

عاد يقول لها في قلق : ولِمَ لا أنتظرك في مكان دافئ مغلق تحسباً لاحتمال سقوط المطر . . ما رأيك في أن نتقابل في أحد المطاعم أو . .

ولكنها قاطعته في صوت هامس عذب : ألا أستحق أن تقف في انتظاري تحت المطر . . ولو لدقائق قليلة؟

وعندما تأمل عينيها الخضراوين شعر أنه يسبح في بحور من الفيروز لا قرار لفتنتها وأسرارها . . وشعرها الأسود الناعم المنسدل على كتفيها في خفة وجمال ، بدا كأنه ليل حافل بمزيد من الأسرار ينتظر من يزيح أستاره .

وحتى شفتاها الحمراوان المكتنزتان بدتا ، وكأنما تطبقان على أسرار الدنيا التي لن تبوح بها إلا لرجل وحيد . .

الرجل الذي ستقع أسيرة هواه . . فيكون هو شهريارها . . وهي شهرزاده . . تجوب به تلكما الشفتان الشهيتان كل بقاع الدنيا وأسرارها . . فقط عندما تنطبق الشفتان المسكرتان في همس جميل فتروح تتحدثان وتتحدثان كاشفتان عن كل كنوز العالم . . وهي كانت شهرزاد . . وقالت له أن قلبها لم يختر شهريار غيره ليطوف به بأحلام السعادة في كل موانئ العالم .

الثامنة إلا الربع . . ورخات المطر قد تضاعفت . . وإحساسه بالبلل يصل إلى درجة يشعر معها أنه صار يسبح في بركة ماء مثلجة . .

قبل أن يأتي إلى الموعد أقلقه سقوط المطر الشديد فاتصل بها هاتفياً . . وأسكره صوتها وهي تجيب على الطرف الآخر في

همس محبب إلى قلبه : سوف آتي مهما كان سوء الأحوال الجوية . . لا يمكن أن يمنعني شيء عن رؤيتك هذا المساء . . وإلا فلن يغمض لي جفن طوال الليل ، وسأشعر أنني مذنبة لأن قليلاً من الأمطار حرمتني من رؤيتك .

انتشى لحظتها وأحس أنه ملك يعتلي عرشاً لا حدود لأطراف صولجانه . . ارتبك وقال لها وقلبه يدق في عنف : سأقف لانتظارك ولو غمرتني كل سيول العالم .

عادت تهمس له في بوق الهاتف : لا تذهب . . مهما تأخرت .

وقال وهو يحدق في سموات بعيدة : سأنتظرك مهما تأخرت .

همست تقول في حياء عذري : يا لك من فارس شهم نبيل لا مثيل لرجولته وفروسيته .

لحظتها انتشى وأحس أنه يمتلك الدنيا كلها في قبضته .

الثامنة تماماً . . شعر باطرافه تتجمد ولم يعد يقوى على الوقوف على قدميه ، وبدأ يشعر بأن المرض يغزوه . واخذ يرتعد كالمحموم .

ولكنه ما كاد يستطيع أن يغادر مكانه ابداً .

لا يمكنه أن يخلف وعده لها بأن ينتظرها . . وعدها أن

يبقى مكانه مهما تأخرت، ولا يكاد يتخيل أن تأتي للموعد المضروب فتجده قد انصرف مهما طال تأخيرها.

كان ذلك موعدهما الأول.. وكان من المستحيل عليه أن يخلفه بأي حال من الأحوال.

حلمه قد تحقق فجأة بعد طول انتظار، فكيف يغامر بفقدانه؟

إشترطت عليه ألا يأتي بسيارته.. قالت له أنها ترغب في أن يكونا حرين كالطَّير.. لا تقيد أحلامهما وتكبل أقدامهما أربعة جدران من الإطارات والزجاج.

قال لها ضاحكاً وقلبه يخفق بحبها: أنت جعلتني أعود إلى مراهقتي الأولى في حبك.

همست تسأله وأنفاسها تقطر عطراً: أحقاً تحبني؟

أجابها في صدق وحواسه تشتعل: معك أشعر أنني طفل صغير وأنت أمه.. أترك لك أمر قيادتي.. لا أكاد أفكر لنفسي في شيء إلا إذا كان رهن مشيئتك.. كأنني الرجل الوحيد في هذا العالم، وأنت الأنثى الوحيدة.. وما لنا إلا التلاقي والارتباط مهما فرقتنا الحياة والقدر.

همست تقول وعيناها ترسلان نظرة ساحرة: أحلم باليوم الذي سيجمعنا معاً.

كاد يقفز من مكانه فرحاً.. قال لها، وسعادة طفل تعربد

في صدره : أحقاً ما تقولين؟

ولكنها لم ترد على الفور . . نكست وجهها وقد تخضب حياء فبدت كملاك خجل . . همست تقول في عتاب وألم : ألم تشعر بحبي لك حتى هذه اللحظة؟

كانت المرة الأولى التي تكشف له فيها عن حبها . .

هي . . فاتن . . أجمل جميلات نادي الجزيرة . . ذات الجمال الخارق والجسد الذي يشتعل فتنة وسحراً . .

هي التي يتهافت عليها نصف شبان النادي ويلقون بأموالهم وشبابهم تحت قدميها مقابل نظرة من عينيها الساحرتين .

ولكنها لم تختر غيره . .

ولم تهمس بمكنون قلبها إلا له .

ولم تعترف بالحب . . إلا بين يديه .

لحظتها كاد يصرخ . . يندفع في كل أركان النادي صارخاً كالمجنون لشدة فرحته . .

لم تكن له تجارب في الحب من قبل أبداً . . والكثيرون اندهشوا عندما علموا أنه لم يقع إلا في حب فاتن . . وكانت في نظراتهم بعض السخرية . . والكثير من التحذير ، دون أن يدري السبب في ذلك . . كانوا يحسدونه دون شك . . وفي

أحيان كثيرة يتحول الحسد إلى كراهية دون أن تدري .

الآن فليأت الجميع ليشهدوا أنه نطقت بكلمة الحب التي اخترقت مسامه واستقرت في فؤاده ، وطلبت منه موعداً يتفقان فيه على كل تفاصيل حياتهما القادمة .

. الثامنة والنصف : شعر بأنه يوشك أن ينهار . . إرتجف بشدة وحاول أن يتماسك دون فائدة . .

أغرقه المطر تماماً . .

عضَّ على شفتيه في قسوة متسائلاً عما أخرها . . كان كل ما يخشاه أن يكون مكروه قد أصابها . . لا يهمه . . إن كان قد أصيب بالبرد أو المرض .

ما يخشاه أن يكون قد ألم بها مكروه .

سمع الكثيرون من قبل يتهامسون عنها بأنها ذات قلب قاسٍ . . وأن قلبها صخرة محاطة بسياج حديدي لا يلين . . أضاعت مفتاحه بيدها فحكم عليها أن تعيش سجينة هذه القضبان . . فكانت هي السجينة والسجان .

ولكنه أبداً ما كان يمكنه أن يصدق شيئاً مثل هذا .

هم يتقولون عليها لأنهم فشلوا في أن يصبحوا مكانه . . لأن كل محاولاتهم الرامية لدق قلبها قد صدها الطرق

الأجوف الذي لم يجد استجابة.

قلبها لم يشتعل إلا بحبه هو وحده. . وكل الحاسدين يوشكون أن يحترقوا بلهب هذا الحب.

التاسعة تماماً: لم تعد به قدرة على الانتظار أكثر من ذلك. . ليس بإرادته بل رغماً عنه. . لا أحد يستطيع أن يدفع المرض عنه بإرادته. . ولا الموت. .

قدماه ترتجفان وتوشكان أن تتهاويا به على الأرض. . وأسنانه تصطك بشدة. . وبدنه يرتعد. . وأطرافه فقد الإحساس بها.

عض شفتيه الزرقاوين. . لم يكن أمامه غير الانصراف. . همس لنفسه يقول في ألم بأنه لا شك أن شيئاً قد عطلها في اللحظة الأخيرة وإلا ما تأخرت عن موعده. .

عندما سألها في الصباح في النادي: وماذا ستكون نهاية حبنا؟

أجابته وعيناها تزغردان في حياء: الزواج طبعاً.

فدق المائدة في فرح صبياني جذب إليهما كل الأنظار، حتى أنها تورد وجهها في خجل أشد، وهمست تقول له: هل أنت فرح إلى هذا الحد؟

فأجابها وهو يجاهد ليتحكم في إنفعاله : وكيف لا أفرح وسوف أتزوج اجمل فتاة في هذا العالم؟

ولم يكن يظن أنها ستخلف موعدهما الأول .

كان الطريق مظلماً وطويلاً . . وما من سيارة عابرة أو تاكسي يمكن أن يعيده إلى مسكنه البعيد .

في تلك اللحظة اندهش أنها اختارت هذا المكان النائي بالذات للقائهما؟

هز رأسه في حيرة . . كان ذلك ايضاً لغزاً مستعصياً . . ولكن جمالها ورقتها وفتنتها كانت كالسحر ، تدفعه ، لكي ينقاد إليها دون أن يفكر لحظة واحدة ، كأنه منوم مغناطيسياً إليها .

وفجأة أضاء كشافا سيارة قادمة من نهاية الطريق فغشى نورهما عينيه بقوة .

تمنى سالم لو كانت السيارة القادمة تاكسياً يعيده إلى منزله . . ولكن النور القوي لم يمكنه من تمييز السيارة جيداً . . ثم ما أن اقتربت حتى أطفأ سائق السيارة القادمة أنواره القوية .

وبرغم الضوء القليل الذي ينبعث من عمود إنارة بعيد ، استطاع سالم تمييز السيارة على الفور . .

كـانـت سيـارة فـاتن دون شك . . بلونهـا الأحـمـر الدمـوي وذلك الخط الأسود العريض الذي يختـرقها في المنتصف تماماً، وذلك الانبعاج الصغير في مقدمتها.

ولمحها بداخل السيارة

فـاتنـة سـاحـرة متـألقـة . . كـأنـهـا أجـمل أنثى عـلى وجـه الأرض . .

وعربدت فرحة جنونية فـي صدر سالم . . ها هي قد جاءت أخـيـراً ولـم تخـلف الميـعـاد برغم تأخـرهـا . . وكـان واثقـاً من مجيئها برغم لحظة اليأس التي عصفت به.

وقفز سالم نحو السيارة في سعادة طاغية.

ولكن السيارة لم تتوقف أبداً.

تجاوزته دون أن تبطئ من سرعتها وكادت تدهسه تحتها . .

وقذفت إطاراتها صوبه ببعض الأوحال التي أغرقته تماماً.

ووقـف سـالـم مكانه في ذهـول مطبق لا يكـاد يصـدق مـا جرى.

كانت سيارتها دون شك . .

وكانت هي بداخلها . .

ولقد لمحته وتقابلت عيونهما في نظرة خاطفة . .

وكان في عينيها نظرة ساخرة هازئة إلى أقصى حد . .
نظرة غير مفهومة على الإطلاق . . كأنها لغز جديد يضاف إلى ألغازها .

وحدق سالم في السيارة المبتعدة وشفتاه ترتعشان ذهولاً . .
ونكس رأسه أخيراً وهمس يقول في صوت مريض : إنها لم ترني . . هذا مؤكد . . لا شك أنها حسبتني شخصاً آخر ولهذا لم تتوقف . . وظنت أنني قد غادرت المكان منذ وقت . .

وسار ورأسه يملؤه طنين هائل كالطاحونة .

* * *

«اللعبة»

أوقفت فاتن سيارتها بجوار باب النادي . . وغادرتها في رشاقة وابتسامة رائعة تحتل نصف وجهها . . وقد بدت في بذلتها الرياضية الأنيقة كإعلان حي للجمال الكامل . والتقطت مضرب التنس من المقعد المجاور لها . . ثم اتجهت تعبر بوابة النادي إلى الداخل .

على الفور انجذبت إليها الأنظار .

فتيات كثيرات ملْنَ بعضهن على بعضهن يتحدثن همساً ، ونظراتهن وغمزاتهن تقصدها وحدها . . وشبان كثيرون كانوا يتمنون لو أن صاحبة ذلك الجمال الرائع تمتلك قلباً يمكن أن يلين ويرق . . لسكبوا دماءهم فوق مذبح حبها عن رضا .

كانت الشمس مشرقة دافئة ، والنادي عامر بالكثيرين . .

وكان أكثر ما يسعد فاتن أن تشعر أن كل العيون مصوبة إليها تتملى من جمالها وفتنتها وتتحدث همساً عنها.

واتجهت إلى مائدتها المفضلة، وما كاد سالم يراها حتى قفز من مائدته متجهاً إليها.. وبدا في ملابسه الثقيلة والكوفية التي التحف بها، كأنه يغالب مرضاً شديداً، وكأنه غادر فراش المرض تواً.

وهمس في صوت مريض متوتر: فاتن.. لقد جئت أخيراً، إنني أنتظرك منذ ساعتين هنا بالرغم من أن الطبيب الذي زارني في المساء نصحني ألا أغادر فراشي أبداً بسبب إصابتي بنزلة برد حادة.. كادت تقضي علي.. وأردت الاطمئنان عليك.. ولكن تليفونك كان يطلق جرساً ولا يرد عندما حاولت الاتصال بك مساءَ أمس واليوم صباحاً.

هزت فاتن كتفيها في استخفاف قائلة: إنني لم أشأ أن أزعج نفسي بتلقي المكالمات، ولذلك وضعت شيئاً ثقيلاً فوق رأسي ونمت نوماً عميقاً.

ابتلع سالم لعابه في توتر. تفحص وجه فاتن بعينين حائرتين.. كانت تبدو لا مبالية، باسمة لا يقلقها شيء، كأنها لم تتركه ساعتين كاملتين تحت المطر والصقيع.

همس يقول لها في شك : هل حضرت إلى موعدنا أمس؟

فصوبت فاتن نحوه سهام رموشها الفاتنة ، واكتسى الوجه الساحر بابتسامة عريضة ساخرة إلى أقصى حد وقالت : هل جننت . . هل كنت تريدني أن أغادر فراشي الدافئ في ذلك الطقس المفزع لمقابلتك؟

ابتلع سالم لعابه في دهشة ، وغمغم في ارتباك : ولكنك قلت أنك ستأتين حتى لو أمطرت أنهاراً ، وقبل مغادرتي مسكني اتصلت بك للاطمئنان فوعدتيني أن تأتي برغم كل شيء . .

مرة أخرى هزت كتفيها في لا مبالاة . . وواجهته بنظرة أشد سخرية وهي تقول : وما المشكلة في ذلك . . كنت سآتي . . ولكني غيرت رأيي في آخر لحظة . !

حدق فيها سالم مندهشاً . . بدت له تلك الفتاة غريبة عنه ، ليست هي نفسها التي عرفها خلال الأسابيع القليلة الماضية ، والتي ما رمته بتلك النظرة الساخرة أبداً ، ولا حدثته بتلك اللهجة المتهكمة . . وتغلب على مشاعره وقال في صوت مريض : لقد لمحت سيارتك في التاسعة مساء وهي تعبر من أمام المكان الذي اتفقنا أن نتلاقى فيه . . ولا يمكنك أن تنكري

ذلك .

أخرجت فاتن من حقيبتها الهاندباك باكو بسكويت راحت تقضمه في تلذذ وهي ترقبه بنظرة واسعة وشفتين انفرجتا عن أسنان لؤلؤية . . كأنما أمتعها أن تشاهد معالم اليأس والألم والمرض المرتسمة فوق وجهه . . وكأنها تستلذ بلهجته الذليلة . . وقضمت قطعة أخرى من البسكويت وهي تقول له: لا شك أنك رأيت سيارتي دون شك . . فقد تذكرت مشواراً مهماً في نفس المكان فقمت به . . ولم أكن أعرف أنك لا تزال طفلاً مراهقاً لتقف لانتظاري كل هذا الوقت تحت سيول المطر .

وأنهت عبارتها بابتسامة واسعة .

ابتسامة ساخرة إلى أقصى حد . . كانت لغزاً جديداً لا يفهمه .

ومالت عليه فاتن تهمس بعينين تفيضان تهكماً : أنا لا احب المراهقين يا عزيزي . . وأتركهم عادة يقفون تحت الأمطار ليلاً ليلقوا العقاب الذي يستحقونه . . ولا مانع لدي من مشاهدتهم وهم يسيرون بعدها مطاطئي الرؤوس يعانون الذل والمهانة . فهذا هو أمتع ما في اللعبة . . أن تشاهد وجه خصمك بعد

الهزيمة المريرة

غمغم سالم في ذهول : إنني لا أكاد أصدق ما تسمعه أذني . . مستحيل أن تكوني أنت التي تتحدث أمامي . . لا أكاد أصدق نفسي .

ولكن فاتن زمت شفتيها في استياء قائلة : لماذا لا تذهب بعيداً عني . . فقد مللت من رؤية وجهك ، وأرغب في تجديد الهواء الذي يحيط بي!

ارتجف سالم . . واخترقت الإهانة كيانه . . وتماسك حتى لا يتهاوى أمامها . . فجأة انكشفت له حياة تلك الإنسانة التي ظن في لحظة جنونية أنها يمكن أن تكون قد أحبته . . لم يكن هناك شك في أنها اعتبرته لعبة تسلت بها بعض الوقت . . وعندما ملت منها ألقت بها بعيداً دون أن تشفق عليه بغير كلمات المذلة والإهانة .

وضغط على أسنانه في عنف شديد قائلاً : لقد كان اعترافك لي بحبك خداعاً . . أليس كذلك؟

فأجابته في سخرية : من المؤسف أن البعض في هذا العصر لا يزال يعيش في أوهام الحب ويصدقها .

وأضافت في قسوة : ولن يسعدني أكثر من أن أجعلهم

يفيقون من هذا الوهم ويتحطمون على أرض الواقع .

ولوحت بأصابعها ساخرة لسالم وهي تلتقط مضرب التنس وتسير مبتعدة نحو الملعب . . ووقف سالم مكانه وقدماه لا تقويان على حمله . . وشهق كأنه في النزع الأخير . . لا يكاد يصدق . . مستحيل أن يحتوي كل هذا الكيان الجميل الفاتن ، على ذلك القدر من الكراهية والقسوة . . لا يمكن أن تكون قاسية إلى هذا الحد . وسار مطأطئ الرأس مغادراً المكان ، وقد شعر أن الحمى تشتعل به . .

وعندما طالعته نفس النظرات المشفقة والساحرة التي كانت تطالعه من قبل ، أدرك السر الحقيقي وراءها .

وغمغم في ألم قائلاً : أيتها الخائنة العابثة . . أي قلب تملكين؟

وانحدرت دمعة ساخنة من عينيه لم يستطع التحكم فيها ابداً .

* * *

اقتربت منال من فاتن .

لوحت فاتن لصديقتها في ابتهاج . . ولكن وجه منال ظل على جموده . . وهي تقترب منها كأنها تخفي حزناً مريراً . .

وتساءلت في صوت قاسٍ : هل أنت الآن سعيدة بما فعلته بهذا الشاب المسكين؟

فرفعت فاتن حاجبيها الرفيعين ، وتحسست شعرها الأسود الحريري قائلة بابتسامة عريضة : وماذا فعلت أكثر من أنني جعلته يرى الدنيا على حقيقتها ، ويكتشف أنه لا يوجد شيء اسمه الحب؟

قالت منال وهي تزم شفتيها في غضبٍ محاولةً أن تخفي ارتعادها : لقد حطمته .

أشاحت فاتن بيدها ساخرة وقالت : هو الذي توهم أشياء لا وجود لها .

أمسكتها منال من كتفيها ، هزتها في عنف صائحة : متى تفيقين من قسوتك هذه؟

دفعتها فاتن في حدة وغضب وأدارت وجهها بعيداً عن صديقتها هاتفة : منال ، إنك تتجاوزين حدودك معي .

ضاقت عينا منال وهي تبذل مجهوداً كبيراً لتسيطر على انفعالاتها وقالت : إنك في حاجة إلى أن تفيقي من هذه القسوة . . إنك لا تعرفين ماذا يقول عنك رواد النادي .

استدارت فاتن بوجه بارد لا يحمل أي مشاعر . . وقالت

في صوت حاد : وماذا يقولون عني؟

تعقد حاجبا منال وقالت في ألم : سأخبرك لأنني ما زلت أعتبر نفسي صديقتك وما زلت أخشى عليك مما تفعلين . . إنهم يقولون أنك فتاة بلا قلب . . وأن كل ما يهمك هو أن تشاهدي عشرات الشبان وهم يحومون حولك ويتغزلون بجمالك ، ويتمنون لو كنت زوجة أو حبيبة لهم . . على حين أن كل ما تسعين إليه هو الانتقام من أي شاب يلقيه سوء حظه في طريقك ، ليدفع في النهاية ثمن خطأ لم يرتكبه .

لم تنطق فاتن بشيء . . وبدا وجهها كالصخر لا يشف عن أي مشاعر . . وواصلت منال في قسوة : إذا كان هناك شاب أحبيته اختار غيرك ، فليس معنى هذا أن تتحول حياتك كلها إلى مسعى متواصل للانتقام من كل الرجال . . فالآخرون لا ذنب لهم .

همست فاتن في صوت متحشرج متألم : اصمتي . . لا أريد أن أسمع المزيد .

واصلت منال في إصرار وقسوة :

ستسمعين لأنني أحبك وأخشى عليك من الطريق الذي تسيرين فيه . . ففي النهاية لا بد أن تدفعي ثمن ما تفعلين . .

لقد ساءت سمعتك في النادي. وبعد ما حدث اليوم مع هذا الشاب المسكين سالم، لن تجدي شاباً واحداً يمكن أن يلقى عليك تحية الصباح، بالرغم من جمالك الفاتن الذي تتباهين به. فقد أدرك الجميع أنه جمال قاتل يسقط ضحيته كل من يحاول الاقتراب منه.. كأنك لهب يحترق به كل من يجذبه ضؤوه.

تفجر غضب عارم في عيني فاتن.. وارتعدت شفتاها في صوت ملتهب قائلة:

أنت تكرهينني لأنه ليس لك مثل جمالي.. ولا يحاول أي من شبان النادي التودد إليك أو حتى طلب يدك للزواج.. أليس كذلك أيتها الصديقة العزيزة؟

قالت منال في أسى: ليس مستغرباً أن تقولي ذلك ما دام قلبك قد صار بمثل تلك القسوة.. ولعل نبيل كان على حق عندما تركك واختار أخرى زوجة له.

صرخت فاتن في غضب وحشي: ماذا تقولين؟

واجهتها منال: هذه هي الحقيقة التي تهربين منها.. إن أنانيتك وعشقك لنفسك وجمالك دفعا نبيل إلى أن يختار فتاة أخرى تشاركه حياته وحبه.. فتاة قد تكون أقل جمالاً منك

كثيراً . . ولكنها تمتلك قلباً عامراً بالمشاعر والحب لكل الناس . . وليس لنفسها فقط .

ـ إخرسي . .

وهوى كف فاتن فوق خد منال . . وتركت الأصابع الرقيقة آثارها فوق الخد الشاحب . . وجذب صوت الصفعة كل العيون القريبة .

وهمست منال وهي تغالب دموعها : شكراً لك يا صديقتي .

ثم سارت متعثرة تغادر المكان وعيناها تفيضان بالدموع الملتهبة .

وبقيت فاتن وحدها تحدق في الفراغ وأسنانها تصطك غضباً ، وتواجه كل النظرات المصوبة إليها في تحد .

* * *

«صيد جديد»

غابت حرارة الشمس مخلفةً وراءها سحباً رمادية وقرصاً بارداً . . وبرغم ذلك فإن مباراة التنس الحامية كانت قد وصلت إلى ذروة اشتعالها .

وكان ذلك الشاب القوي المتناسق البدن ، ذو الشارب الممتلئ والفك القوي ، يبدو واثقاً من الفوز بطريقة عجيبة . . والمدهش أن كل كراته كانت تطيعه في ضربات ساحقة ، بالرغم من أن منافسه كان هو بطل النادي في اللعبة .

وتفصد العرق فوق وجه صاحب الشارب . . وشعره الأسود الغزير قد التصق بجبهته بسبب العرق الذي تفصد منه برغم الجو البارد . . ولكن عينيه السوداوين العميقتين كانتا مليئتين بالثقة والرغبة في الفوز .

وبضربة أخيرة بارعة تمكن من الفوز. . وهلل المشاهدون وتعالت صفارات الاستحسان. . وبقيت فاتن مكانها تراقب ذلك الشاب دون أن تغادره عيناها لحظة واحدة.

لم تكن تعرف حتى اسمه. . وكانت المرة الأولى التي تراه فيها في النادي. . ولكن منذ وقع بصرها عليه قررت أن يكون هو ضحيتها التالية. .

ثلاثة أيام كاملة امتنعت فيها عن المجيء إلى النادي منذ شجارها مع منال. . أحست بندم قليل على ما حدث. . وصفعها لصديقتها أمام رواد النادي، ولكن منال تتطاولت عليها وكانت تستحق ما جرى لها.

هي ليست في حاجة إلى صديق. . أو حبيب.

إتجه الشاب القوي نحو منضدة قريبة وهو يجفف عرقه في فوطة صغيرة، فاقتربت منه فاتن باسمة وهي تحاصره بنظراتها الساحرة الفاتنة. .

كانت تدرك سر نظراتها على من تقع عليه. . فتكبله في إسارها ولا يستطيع منها فكاكاً. .

وحدق فيها الشاب بعينيه الواسعتين المليئتين وسامة ورجولة. . وبدا كأن الكون قد توقف في تلك اللحظة وهما

يتبادلان نظرة عميقة دون كلمة واحدة . . كأن نظرتهما الأولى هي بطاقة التعارف بينهما .

كأنها نظرة تحدٍّ واختبار للقوة . .

وهي ما اعتادت أن تنهزم أبداً . . كان لنظراتهما السطوة والسحر الأقوى دائماً . .

ونكس الشاب بصره في بعض الارتباك . .

وابتسمت فاتن . . فها هي قد كسبت جولتها الأولى . . وليس عليها غير ممارسة نفس الطريقة التي تجيد ممارستها وكسبت بها جولات عديدة من قبل .

همست تقول له بصوت شجي عذب : لقد كنت رائعاً ، وكنت واثقة من أنك ستفوز في النهاية .

قال بابتسامة عريضة زادته رجولة : شكراً لك ،.. ولكن الخسارة لم تكن تهمني .

سألته متشككة : وهل جربت الخسارة من قبل؟

أجاب في ثقة : مطلقاً .

وعادا يتواجهان بنظرة أخرى طويلة . . طويلة . . طويلة . .

ولكنها في تلك المرة كانت هي التي نكست بصرها . .

شيء ما في عينيه كأنه سحر لا يقاوم كان ينفذ منهما ويخترق أي شيء يصادفه. . أحست أنه يفوز عليها بتلك النظرة القوية الآسرة.

أغضبها ما حدث. . ولكن ما كان باستطاعتها الانسحاب أبداً. . ألقت بابتسامة فاتنة فوق شفتيها وقالت له: إنك جديد في النادي؟

هز رأسه موافقاً وقال: إنني لم ألتحق به إلا منذ يومين فقط. . وهذه أول مرة أجيء إليه.

وأكمل باسماً: إنني أعمل وكيلاً للنيابة، وقد نقلت حديثاً من أسوان بعد محاولات عديدة للوساطة للابتعاد عن هذا المنفى في أقصى الصعيد واجيء إلى أضواء القاهرة الساحرة.

وأضاف في لهجة مرحة: واسمي هو «سامح الرشيدي».

زادت ابتسامة فاتن اتساعاً وهي تقول: وأنا اسمي فاتن جابر. . وعضوة في النادي منذ سنوات بعيدة. . وبطلة في السباحة أيضاً.

فقال وهو يرفع حاجبيه إعجاباً: أنا أحسد رواد هذا النادي.

سألته في صوت عذب: ولماذا؟

أجابها في رقة : لأنهم تمتعوا بمشاهدة جمالك طويلاً .

عضت ببصرها حياء . . كانت تجيد فعل ذلك بطريقة تسلب اللب . . فيشحب وجهها قليلاً ثم يتورد في لون فاتن كأنها نموذج بارع للحياء والخجل .

وكانت طريقتها تصيب الهدف تماماً . . ولكن ذلك الشاب الوسيم الجالس أمامها يبدو متمالكاً زمامه بطريقة عجيبة . .

طريقة لم تجربها من قبل .

وتنبهت إلي شيء غريب . . كانت لا تزال واقفة ولم يدعها حتي للجلوس . . وتنبه سامح إلى ذلك في اللحظة المناسبة أيضاً فقال في اعتذار : أنا آسف . . نسيت أن أدعوك للجلوس .

واجهته فاتن بنظرة تحمل بعض اللوم والغضب . . ولكن لومها وغضبها ذابا عندما همس يقول لها : لقد أنساني جمالك واجب الضيافة فاعذريني .

أحست فاتن أنها كسبت نقطة أخرى ، وبدت اللعبة مبشرة بالنجاح ككل مرة . . وجذبت مقعداً وهي تقول ضاحكة : لا يكرم المرء في داره .

كانت تحب دائماً أن يكون زمام المبادرة في يدها . . أن تقبض أصابعها على إرادة كل من تجذبه شباكها . .

منذ تركها نبيل واختار أخرى غيرها ، لم تترك لرجل فرصة قيادتها أبداً . . وذلك الشاب الجالس أمامها يبدو قوي الإرادة . .

ولكنها كانت واثقة أن إرادته ستذوب عشقاً وهياماً فيها . . فقط كان عليها أن تترك الأمور تسير على طبيعتها . . أن تترك سحرها وفتنتها يفعلان مفعولهما .

وسألها سامح : ماذا تعملين؟

هزت كتفيها في استخفاف قائلة : ولماذا أعمل . . إن والدي ثري جداً ، وقد اكتفيت بالحصول على ليسانس الحقوق فقط لكي يكتمل مظهري الاجتماعي .

ـ أنت مخطئة . . فالعمل يمنح الإنسان قيمة أكبر . وشهادة بدون عمل لا تساوي شيئاً مهما كان المال الذي يملكه الإنسان .

سألته مقطبة : ماذا تقصد؟

أجابها باسماً : أقصد أنك لو امتهنت المحاماة ، فإن أي

قاضي كان سيمنح موكلك البراءة إذا ما ترافعت أمامه بسبب جمالك الفاتن .

شاع في محياها نظرة رضا عميقة . . أعجبها أنه يجيد عبارات الغزل . . ولكن ما ضايقها أنه كان يبدو مسيطراً على الحديث ويدير دفته في الاتجاه الذي يريده .

وقالت لتتمالك زمام الحديث : ولكن عملك شاق دون شك ، فكيف تتحمل زوجتك معاناة سفرك المستمر؟

أجابها في نظرة هادئة : أنا لست متزوجاً .

ـ وخطيبتك؟

ـ لست خاطباً أو مرتبطاً بأي فتاة .

رمقته في صمت وهي تكبت ابتسامة . . كانت مواصفاته مثالية ، وهو يبدو على استعداد تام للوقوع في حبائلها . وأكمل سامح قائلاً وشعاع سعادة يطوف فوق ملامحه : لقد حسبت نفسي سعيداً جداً لأنني نقلت إلى القاهرة . . والآن أشعر أن حظي تضاعف باشتراكي في هذا النادي .

وأضاف هامساً : ومقابلتي لك .

كتمت ابتسامتها . . بدت على وجهها ملامح الفوز . . لم تكن تظن أنه سيسقط في شباكها سريعاً . . فبرغم ملامحه

الوسيمة ورجولته الدافقة ، فقد كان حديثه يشي بتهور مشاعره وسرعة اشتعالها .

وكانت الخطوة التالية تحتم عليها أن تغادر المكان لتلهب مشاعره . فألقت نظرة في ساعتها ثم هتفت : لقد تأخر بي الوقت . . يجب أن أعود إلى المنزل حتى لا يقلق والدي عليّ .

ونهضت فقال آسفاً : هكذا سريعاً .

وجاوبته بابتسامة ، فسألها وهو يجاهد ليخفي لهفته : هل سأراك غداً؟

هزت كتفيها وقالت : ربما في نفس المكان والموعد .

ولوحت له بيدها وسارت في رشاقة مبتعدة ، فراقبها سامح حتى غابت عن عينيه ، ثم تنهد وأطلق زفرة حارة .

وأدهشه أن تنبه إلى عيون نصف رواد النادي على الأقل ، كان تحدق صوبه ببعض الإشفاق ، وكثير من السخرية .

* * *

«صورة»

وفي اليوم التالي ذهبت إلى النادي متأخرة ساعة كاملة عن نفس الموعد . .

ولكن ملعب التنس كان خالياً ولا أحد به . . وكذلك حديقة النادي .

ووقفت فاتن غاضبة تتلفت حولها . . ضايقها أشد الضيق أنه لم يأتِ حتى تلك اللحظة . . كانت المرة الأولى التي تواجه فيها هذا الموقف . . كثيرون غيره كانوا يأتون مبكرين ساعات طويلة ، يتلظون بنار الانتظار قبل أن تشرق عليهم بشمس جمالها . وفاجأها صوته الذي جاء من خلفها يقول في اعتذار:
أنا آسف لتأخري . . لقد جئت مهرولاً دون فائدة .

إلتفتت فاتن إليه ، ، بدا لها سامح برغم رجولته الفائقة

كطفل يتلمس الصفح وهو ممسك بحقيبته الرياضية الصغيرة . .
قالت وهي تخفي غضبها : لا يهمني إن تأخرت أم لا . . أنت حر في الوقت الذي تأتي فيه إلى النادي .

أدرك من لهجتها أنها غاضبة فواصل في رقة :

- إنني اعتذر مرة اخرى ، فقد كانت أمامي قضية مهمة وبعض المتهمين ولم أستطع الانصراف قبل الانتهاء منها . . وإن كنت لا أظن أنني استمعت إلى اقوال المتهمين جيداً .

سألته وهي لا تزال تنفث غضبها لتأخره : ولماذا؟

فأجابها وهو يبحر في عينيها : لأن صورتك كانت ماثلة أمام عيني في كل لحظة .

وتلاقت عيونهما . . وأحست فاتن بسعادة تغمرها . . كان يدخل في شباكها بإرادته دون أن تبذل أقل القليل من المجهود . . واستطاع أن يصرف غضبها بإجابته الذكية اللبقة .

بدا واضحاً لها أن اللعبة هذه المرة ستكون ذات مذاق مختلف .

وسألها سامح باسماً : هل يمكنني أن أدعوك على فنجان شاي؟

- لا بأس .

إنطفأ غضبها القليل. . وسارا في اتجاه حديقة النادي. . وجلسا متواجهين وهي تتشاغل عنه بالبحث عن شيء ما داخل حقيبتها. . وجاء الجرسون بعد قليل بالشاي فراحت فاتن تحتسيه على مهل، فقال لها راجياً وهو يتملّى من ملامحها: هل يمكنك أن تطيلي من شربك للشاي قليلاً؟

سألته مندهشة: ولماذا؟

أجابها في رقة: لأنني أريد أن أرسمك وأنت على هذا الوضع.

وأخرج من حقيبته الرياضية دفتراً للرسم وبضعة أقلام، فسألته مندهشة: هل تجيد الرسم؟

أجابها: وما الغرابة في ذلك. . وكيل نيابة ورسام. . إن البعض يندهش لذلك ولا أدري السبب.

راقبته في صمت وهو يضع أول خطوط على الورق، وأكمل هو في جاذبية: لقد صادفني موقف ضاحك بالأمس، فقد كان أمامي متهم بسرقة حافظة، وكانت له ملامح عجيبة غير متناسقة على الإطلاق، تغرى أي رسام بتسجيلها. ولولا أنني تحكمت في نفسي جيداً لأخرجت أوراقي وأقلامي وطلبت من المتهم أن يجلس أمامي لأرسمه بدلاً من أن آمر بحبسه!

لم تتمالك فاتن نفسها وانفجرت ضاحكة.

انفجرت ضاحكة تلقائية فجائية دون تصنع منها.. لأول مرة تضحك بتلك الطريقة وعلى طبيعتها.. لأول مرة منذ وقت طويل..

منذ هجرها نبيل!

وقال سامح في رقة وهو يراقبها: هل تدرين.. إن جمالك يتضاعف عندما تضحكين، فأشعر أنك مخلوقة ملائكية قادمة من عالم آخر.. وليتني كانت معي كاميرا لألتقط لك صورة وأنتْ تضحكين فأحتفظ بها إلى الأبد.

باسمة: وإذا منحتك هذه الصورة؟

أجابها في لهفة: سأضعها في أغلى مكان عندي.. قرب قلبي.

ألقت إليه بابتسامة ساحرة وهي تجيبه: حسناً.. ربما أمنحك هذه الصورة فيما بعد.

كان في ردها أمل.. ووعد صريح..

وقد كانت تفعل ذلك دائماً.. تمنح الأمل والوعد حتى تكتمل اللعبة، ثم تنسحب في اللحظة الأخيرة.. اللحظة المناسبة تماماً. وكان سامح يبدو في نظرها غريراً بالرغم من حديثه الواثق.

وفكرت وهي تراقبه يرسمها . . كان مختلفاً قليلاً عن بعض من عرفتهم والقت فوقهم بشباكها . .

لم يكن أكثرهم وسامة . .

ولكنه كان أكثرهم رجولة . . وكانت كلماته عذبة يجيد صياغتها .

كان مختلفاً قليلاً . . يغري باكمال التجربة حتى نهايتها . . وشردت عيناها في سخرية مفكرة ، ترى كيف سيكون حاله عندما تواجهه ذات صباح بالحقيقة؟

هل سينهار ويبكي مثلما فعل سالم؟

هل سيحاول الانتحار مثلما فعل ممدوح؟

هل سيهاجر ويترك مصر بأكملها كما فعل سمير؟

هل . . ؟

ـ لقد انتهيت من رسمك .

أفاقت فاتن على صوته . ومد إليها سامح ما رسمه . . كانت الصورة تشبهها قليلاً . . وكانت هي في الأصل أجمل كثيراً . فليس شعرها خشناً بتلك الطريقة ، وليست وجنتاها شاحبتين كذلك . . ولا كانت عيناها ضيقتين بمثل تلك الطريقة وتطل منهما نظرة غريبة .

مطت شفتيها في استياء حاد قائلة : هل أنا بشعة إلى هذا الحد؟

قال باسماً : إن سوء حظك هو الذي جعلك تستسلمين لرسام مبتدئ مثلي لكي يقوم برسمك .

ضحكت رغماً عنها مرة أخرى . . ثم تماسكت وقالت وهي تزم شفتيها : لو أن شخصاً آخر غيرك قام بهذا الرسم لمزقته وألقيته في وجهه .

ولكنه أجابها في همس : لا أظن أن فتاة في مثل رقتك وجمالك يمكن أن تفعل ذلك .

ـ هل تظن ذلك؟

سألته وعيناها تضيقان عن آخرهما فتستران كل ما يعربد فيهما من مشاعر . . وأجابها سامح في همس أرق وعيناه تطوفان فوق ملامحهما : بالتأكيد . . فإنني منذ شاهدتك أول مرة أدركت أنني أرى أجمل فتاة في العالم . . وأرق فتاة أيضاً . . إنني حتى أخشى على أنفاسك من الهواء الذي تتنسمينه . . وعلى عينيك من كل ما تقعان عليه .

راقبته فاتن في صمت . . كان صوته يتهدج بالصدق وعيناه تشعان ببريق حار من المشاعر الدافئة ، أحست بها تتخلل مشاعرها رغماً عنها .

وتذكرت في تلك اللحظة نبيل . .

كان دائماً يلقي على مسامعها نفس الكلمات الرقيقة الجميلة . . ويتهدج صوته وتشع عيناه ، بذلك البريق الحار الدافئ . .

وأصابتها الذكرى بغضب فهبّت واقفة في حدة . . وتساءل سامح في دهشة : ماذا حدث . . هل أغضبتك بحديثي أو تجاوزت الحد؟

ولكنها أخفت مشاعرها ، فما كان الوقت مناسباً لإظهار غضبها ، وتمالكت نفسها وهي تجيبه : لا لست غاضبة منك . . ولكني أشعر ببعض التعب . . كما أن الجو صار بارداً جداً لا أستطيع احتماله .

والتقطت حقيبتها وهي تقول : سوف أعود إلى المنزل .

فقال يودعها : كما تشائين . .

وضايقها أنه لم يطلب منها البقاء ويتوسل إليها في ذلك . . أو حتى يعرض عليها توصيلها لمنزلها . . فألقت صوبه بنظرة متجهمة قاسية أودعتها كل غضبها .

وقررت في تلك اللحظة ألا تأخذها به أي شفقة عندما تحين اللحظة المناسبة في أقرب وقت .

وسرعان ما ذابت نظرتها المتجهمة القاسية وحلت محلها أخرى باسمة تعد بأشياء كثيرة . . وهمست تقول له في رقة بالغة أودعتها كل فتنتها : وداعاً .

وسارت مبتعدة قبل أن تسمع رده . . واسعدها بشدة أنها لاحظت أن الجميع كانوا يرمقون سامح وقد تضاعفت في عيونهم نظراتهم المليئة بالشفقة والسخرية .

* * *

«موعد»

ومضت بضعة أيام دون ان تذهب فاتن إلى النادي . . وبقيت في المنزل تحاول أن تشغل نفسها بشيء ما . .

لم تعد لها صديقة تقضي معها بعض الوقت ، فقد كانت منال آخر صديقاتها . . ولكنها وبوسائلها الخاصة عرفت أن منال امتنعت عن الذهاب إلى النادي منذ صفعتها هناك . . كذلك لم يعد سالم يذهب إليه ثانية منذ مقابلتهما الأخيرة . . ولم يكن ذلك يهمها على الإطلاق .

كانت خطتها تقتضي أن تبقى في المنزل أكبر وقت ممكن . . وفكرت مستمتعة ترى كيف حال صيدها الجميل سامح . . وكيف يفكر في تلك اللحظة ، وأي نار يتقلب فوقها؟

وراقبتها أمها في صمت، وأخيراً سألتها في شك : لماذا امتنعت عن الذهاب إلى النادي؟

فهزت كتفيها في لا مبالاة مجيبة : لقد مللت من النادي وكل من فيه.

فعادت الأم ترمقها بتلك النظرة الحزينة المتألمة كأنها تدرك سرها. تلك النظرة التي سكنت عينيها منذ عرفت أن نبيل قرر فسخ خطبته لابنتها والزواج من فتاة أخرى. .

وما كان باستطاعتها أن تفعل لابنتها شيئاً . .

وما كانت فاتن تسمح لأحد بأن يتدخل في شؤونها. . ولو كانت أمها.

ثم دق جرس التليفون في رنين مفاجئ.

ورفعت الأم السماعة. . ثم مدتها إلى ابنتها في صمت وهي ترقبها بنفس النظرة الحزينة. . كأن أمها تعرف بخطتها دون حتى أن تخبرها بشيء. وتضاعف الحزن في نظراتها وكأنها تشفق على ابنتها. . أو على الصيد الجديد.

وتساءلت فاتن في التليفون في صوت عذب : من المتحدث؟

وأتاها صوت سامح المتلهف المشتعل قلقاً على الطرف

الآخر يقول : فاتن . . أنا سامح .

في صوت بارد لا مبال سألته : كيف عرفت رقم هاتفي؟

أجابها في ارتباك : لقد حصلت عليه من إدارة النادي . . وأنا آسف لأنني اضطررت لمحادثتك في التليفون دون أن تأذني لي بذلك .

لم ترد . .

وهتف يسألها وهي تشعر بارتعاد صوته : لماذا لم تعودي تأتين إلى النادي . . لقد قلقت عليك بشدة . . أرجوك أخبريني . . هل أغضبتك . . هل أسأت إليك . . أم هل أنت مريضة؟

فراقبت فاتن أظافرها المنمقة باسمةً وأجابته : لا شيء . فليس هناك سبب يدعوني للذهاب إلى النادي كل يوم .

وران صمت عميق بعد إجابتها . . وأحست بأنفاس سامح تتصاعد في الهاتف حارة متسارعة . . كأنه تلقى طعنة مؤلمة يوشك أن يلتقط آخر أنفاسه بسببها .

وتساءلت في لهجة ماكرة : سامح . . هل تسمعني . . ماذا حدث؟

أجابها صوته مليئاً بالألم : لا شيء .

قالت وهي تمنحه أملاً جديداً : هل ستكون في النادي عصر

اليوم في الخامسة مساء؟
أجابها بصوت مختنق : إذا شئت .
ـ حسنا . . انتظرني . . وداعاً .
وأعادت السماعة مكانها . . وتألقت عيناها بوميض حاد . . سارت خطتها بأفضل ما يكون ، وكانت كلماتها له في التليفون مجرد صفعة صغيرة .
وذهبت في الموعد تماماً . .
وفوق مائدتهما وجدته جالساً منكس الرأس وعلامات هزيمة قاتلة تتراقص فوق عينيه . . وما أن رآها حتى نهض وقال في حزن : أهلاً بك .
سألته متظاهرة بالدهشة : ماذا بك . . هل أنت مريض؟
أجابها وهو يهرب بعينيه بعيداً : قليلاً .
مرت لحظة صمت . . وهو جالس أمامها بعينين زائغتين يسكنهما ألم حار . . ولم تكن تظن أنها ستؤلمه إلى هذا الحد .
كان أضعف مما ظنّت في البداية . . وأحست ببعض الألم لمشهد الحزن المرتسم في عينيه . . وضايقها إحساسها بالألم لأجله . . كانت المرة الأولى التي تشعر فيها بلوم ما خلال تلك اللعبة . . أو ألم على أي رجل يقترب منها .
ولكن سرعان ما تخلصت من إحساسها الواهي بالضيق

والألم لأجله . . وكان عليها أن تخطو به إلى النهاية سريعاً .

سألته هامسة : هل أنت حزين لأنني امتنعت عن المجيء إلى النادي بضعة أيام؟

رفع عينيه السوداوين العميقتين إليها . . رأت فيهما أحلاماً صريعة وآمالاً دامية ، شاهدت شفتيه ترتعشان كأنه يبذل مجهوداً جباراً ليتحكم في انفعالاته ولكي يتمالك ما تبقى من زمام أمره أمامها . وهمس يقول في وهن كمريض يوشك أن يدخل في غيبوبة : ما آلمني هو أنك قلت بأنه ليس هناك سبب يدعوك للمجيء إلى النادي كل يوم .

قالت باسمة في رقة : لم أقصد ذلك المعنى تماماً .

سألها في لهفة وأمله يتجدد : ماذا قصدت إذن؟

رمته بابتسامة فاتنة زائغة . . وأضاء عينيها وميض ساحر . . تورد وجهها في مكر أنثوي وعبثت أصابعها بسلسلة مفاتيح سيارتها الذهبية وهي تقول له : كأنك وكيل نيابة جلس أمام متهم لاستجوابه .

أجابها في لهفة : أنا آسف إذا كنت قد عاملتك بخشونة . . لم أكن أقصد ذلك من سؤالي .

سألته في مكر : ماذا قصدت إذن؟

كان نفس السؤال الذي طرحه عليها . وها هو قد صار

مطالباً بالإجابة على نفس السؤال . .

وراقبته في تلذذ وبلا شفقة . كانت حركاته العصبية وارتجافة أصابعه تؤكد لها أنه ليس أكثر من طفل كبير . . كل الرجال أطفال . . من الضروري أن تمارس عليهم خواء كل قسوة ممكنة .

بدا كأن سامح يستجمع إرادته المشتتة . همس يقول لها : لا مفر أمامي من الاعتراف لك بمشاعري . . فمنذ اللحظة الأولى التي شاهدتك فيها وأنا أشعر أنني صرت أسيراً لجاذبيتك وجمالك ورقتك . . صرت لا أستطيع الابتعاد عنك والافتراق لحظة واحدة . . كأنك الحلم الذي كنت أسعى خلفه أو يسعى هو خلفي طوال حياتي . . كأنني ما تركت ابنة الجيران التي أحببتها في مراهقتي ، وما فسخت خطبتي الأولى إلا لكي أكون حراً عندما يضعنا القدر وجهاً لوجه . . فلا أختار غيرك .

راقبته فاتن صامتة ولم تنطق بشيء وبقت ملامحها باردة لا يعبرها أي إحساس .

لم تكن المرة الأولى التي تسمع فيها مثل هذا الحديث . . كل من ألقت بشباكها عليهم همسوا إليها بنفس الطريقة . .

جميعهم اعتبروها قدرهم وحبهم الأوحد . . وهي لم تكن لأحدهم أبداً ولن تكون .

عاد سامح يقول : صار اليوم الذي لا أراك فيه لا يحسب من عمري . . كنت أجن عندما أجيء إلى النادي كل يوم ولا أراك . . حسبت نفسي قوياً لا يمكن لإنسان أن يخضعني لإرادته ولم أكن أظن أن أي فتاة يمكن أن تفعل بي ذلك مهما كانت درجة جمالها أو جاذبيتها .

وارتجفت نظراته في عنف وهو يعترف لها : أنا قابلت عشرات الفتيات ولم تخترق إحداهن مسامي . . غيرك .

طفح وجه فاتن بالسرور . . دق قلبها في عنف .

اندهشت أن قلبها يدق بتلك الشدة . . اندهشت بشدة ولم تدر لذلك سبباً . . سمعت مثل هذه العبارات كثيراً ، ولم ينبض قلبها ساعتها لحظة واحدة . . فأي جنون قد عبث بقلبها في تلك اللحظة ، وأي ضعف تشعر به أمام هذه الكلمات . . وهذا الرجل؟

مد سامح أصابعه القوية ليمسك بأصابعها . . كأنه يحتويها . . كأنه يؤكد لها أنها لن تكون إلا له وحده . . كأنه يطوقها بإرادته ومشاعره ، فأحست بارتجافة في قلبها للمس

أصابعه القوية وكأنها تفرض عليها إرادته . . همس يقول في تلهف ووجه شاحب : أنا أحبك .

كانت الكلمة عذبة رقيقة صافية . . أرق كلمة سمعتها في حياتها .

على الفور تذكرت نفس اللحظة يوم أن نطق نبيل بنفس الكلمة .

كانا يسيران على شاطئ الإسكندرية لحظة غروب الشمس . . وهما يحسبان أن شمس حياتهما قد أشرقت في نفس اللحظة . . دون أن تدرك أن لحظة الغروب ستأتي سريعاً . . أسرع مما تظن . . وأن كلمة الحب التي نطق بها أمامها ستصير ذكرى دامية في فؤادها لم يمحو آلامها أي رجل آخر ينطق بها .

وأفاقت على صوت سامح الحزين المتألم وهو يردد لها : أحبك . . أحبك . . أحبك . .

سحبت أصابعها من بين أصابعه . . تمنت لو أنه لم يكن في مرمى عينيها لتخرج منديلها وتمسح الدموع التي توشك أن تنفجر فيها . لا تدري أن كانت أحزانها في تلك اللحظة بسبب ذكرى نبيل . . أم حزناً على ذلك الشاب الجالس أمامها

يهمس لهـا بكلمات الحب . . دون أن يدري أي مصير ينتظره في النهاية؟

عادت أصابع سامح تقبض على أصابعها كأنها تستمد منها الحياة فأوشكت أن تشهق لحرارة أصابعه . . قال لها في صوت متهدج : حياتي بدونك لم تعد تساوي شيئاً . . بدونك يتساوى عندي الفشل والنجاح . . والموت والحياة . . أنت منذ هذه اللحظة سر حياتي . فلا تتخلي عني .

سحبت أصابعها بوجه شاحب وهي تشعر بدوار خفيف .

كانت كلماته رقيقة هادئة ساخرة . . كأنها بلسم يخفف كل الأوجاع . وتمنت لو أن الزمن توقف بها عند تلك اللحظة . همس يقول لها : فاتن . . لماذا لا تردين بشيء؟

هربت بعينيها وهي تسأله : وماذا تريدني أن أقول؟

قال في إصرار : أريدك أن تفصحي لي عن مشاعرك . . وهل تبادلينني نفس الحب أم لا؟

عادت بعينيها إليه وتمكنت من أسر مشاعرها وقيد تلهفها ودقات قلبها . جمدت نظرتها وصارت في برودة الثلج ، وسددت إليه بنظرة بلا مشاعر وسألته : وماذا تظن أنت؟

قال في ألم : لا أدري . . حقيقةً لا ادري . . ففي لحظة أشعر أنك معي بكل جوارحك . . وفي لحظة أخرى بأنك

بعيدة عني إلى نهاية العالم.

عضت على شفتيها بقسوة رغماً عنها.. من العجيب أنه كان يقرأ ما يدور في عقلها.. كأنه يعرف.... بأمر تلك المشاعر العجيبة المتناقضة التي راحت تعربد في قلبها وهي تحاول خنقها بكل قوتها.

كانت في حال رعب.

تخشى أن تتحرك مشاعرها تجاهه إن طال بقاؤها إلى جواره.. وكان عليها أن تنهي تلك المعركة التي توشك أن تنفجر في صدرها.. كان عليها أن تسدد إليه الطعنة بأسرع مما يكون حتى لا تقع عيناها عليه ثانية فلا يمارس أي تأثير عليها.

همست تقول في صوت مبتهج وهي تتحاشى النظر إلى عينيه: أنا أيضاً.. أحبك.. فلم أعد أستطيع إخفاء مشاعري عنك أكثر من ذلك.

ورفعت عينيها صوبه.. شاهدته وهو يلهث.. يرتعد.. ترتعش كل أطرافه.. تتحرك شفتاه دون صوت في لهاث محموم.. تتراقص نظراته كأنه كاهن عاشق في محراب.. قبض على أصابعها في عنف.. صاح في صوت متهدج: كنت واثقاً من ذلك.. كنت واثقاً من أنك لن تخذليني وأنك تحبينني أيضاً.. فمشاعري ما كان يمكنها أن تخدعني أبداً..

فقد قرأت كلمة الحب في عينيك قبل أن تنطقي بها .

أغمضت عـينيها في ألم حارق لا تدري سببـه ، وهي تشعر أن كلماته سهام مسمومة تستقر في جراحها .

قال في لهفة دون أن يلاحظ ألمها : سوف آتي غداً مساء في السابعة لأطلب يدك من والدتك . .

أومأت فاتن برأسها موافـقة في صمت . . وجاهدت لترسم ابتسامة سعادة فوق شفتيها . .

همـست لنفسـهـا : في الغد سـينتهـي كل شيء . . سيـتلقى الطعنة ويغـادر منزلها ذبيـحاً مـبعثراً مـحطماً . . بقـايا رجل . . وبعدها لن تعود تعاني أي صراع وآلام .

بعـدها لن تشـعـر بذلك الضـعف الذي ينتـابهـا فـي تلك اللحظة . . ويكاد يشل إرادتها .

ولم تسـتطع أن تتحـمـل الصـراع الذي دار في قلبـهـا . . فنهضت وهي تهـمس له : أرجوك يا سامـح ، أنا مضطرة لكي أغادر النادي بسرعة .

وهرولت مبتعدة عـنه . . لكي لا يلمح الدموع المتساقطة من عينيها .

* * *

«أحبك»

مزقت فاتن الوسادة بأظافرها وهي تكاد تمزق وجهها . . وضعت يديها فوق فمها كأنها تمنع نفسها من الصراخ خشية أن تسمعها أمها النائمة في الحجرة المجاورة .

تركت دموعها تسقط كالشلال . . كان الألم الحارق في صدرها يوشك أن يقتلها . . قالت لنفسها في صوت ذبيح : مستحيل أن أكون قد أحببته . . مستحيل .

ووقفت أمام المرآة . شعرها مبعثر فوق وجهها وألوان زينتها قد لطختها دموعها تحت عينيها . . بدت الواقفة أمامها فتاة أخرى لا تعرفها أبداً .

كررت في ألم حارق : مستحيل أن أكون قد أحببته . . مستحيل .

وجزمت على أسنانها وهي تقول : لا يمكنني أن أهب قلبي لرجل آخر . . لا شيء اسمه حب في هذا العالم . . ليس هناك حب على الإطلاق . . وليس هناك رجل يستحق أن أمنحه قلبي .

وسارت في تعثر إلى فراشها . . ألقت بنفسها فوقه . . أخفت وجهها بين كفيها وانفجرت باكية مرة أخرى . . لم تكن تدري سر تلك الآلام التي تشعر بها في صدرها . .

لماذا هي حزينة إلى هذا القدر . . هل هي حزينة على سامح . . ولكن أياً من أذاقتهم مرارة حبها المزيف لم تحزن عليهم أبداً . . فهل كانت حزينة على نفسها؟

ولماذا تحزن على نفسها وهي تقوم بالعمل الوحيد الذي كان يطفئ نيران كراهيتها لكل الرجال؟

عاودها شعور بأنها توشك أن تفقد وعيها . . تمنت في تلك اللحظة لو أن سامح كان جالساً أمامها . . لكي يخفف عنها قليلاً .

أوحشتها عيناه السوداوان المليئتان بالرجولة والقوة . . وفكه العريض القوي وشاربه الكث . .

شعرت براحة لمجرد تخيله جالساً أمامها . .

إرتعدت أصابعها كأنها اشتاقت للمسته . . وارتجفت شفتاها كأنها توشك أن تنادي باسمه . .

في تلك اللحظة فقط أدركت الحقيقة التي ما كانت تستطيع أن تهرب منها أبداً .

لقد وقعت في حبه رغماً عنها . كانت كلماته مثل تعاويذ سحرية جذبتها إلى أسره وفتحت كل مصاريع قلبها المغلق وأحكمت بقاءه بداخله .

وخبطت الحائط بقبضتها صارخة : مستحيل . . مستحيل . . أنا لا أحبه . . لا أحبه .

وانفتح باب الحجرة فجأة وظهرت أمها فزعة وهي تسألها : فاتن . ماذا حدث لك يا ابنتي . . لماذا تصرخين بتلك الطريقة؟

ارتمت فاتن بين ذراعي أمها . . كأنهما ملاذها وملجؤها الأخير . . تركت لدموعها العنان . . فربتت الأم على كتف ابنتها في إشفاق وألم قائلة : ماذا هناك يا ابنتي . أخبريني .

وتأملت الأم وجه ابنتها الغارق في الدموع ، وهمست تقول لها : إنه الشاب الذي حدثك في التليفون هذا الصباح . . أليس كذلك؟

نكست فاتن رأسها تخفي مزيداً من دموعها ، وهمست تقول لأمها : كيف عرفت؟

قالت الأم في حنان : كيف لا أحس بمشاعرك وأنت ابنتي؟
عضت فاتن شفتيها وقالت : لا أدري يا أمي لماذا أشعر بنار حارقة كلما تذكرت مجرد اسمه .
تأملتها الأم في رقة وقالت : هذه علامات الصحة والشفاء يا ابنتي . . فكلما تذكرت ما تنوين أن تصنعيه به عندما يأتي في الغد ليطلب يدك ، تصيبك الآلام والأحزان لأنك ستفقدينه إلى الأبد .
ارتعدت في ضعف . . همست : هذا ليس صحيحاً . . أنا لا أحبه .
مسحت الأم بكفها فوق وجنة ابنتها وهمست تقول لها :
ـ بل هذه هي الحقيقة يا ابنتي . . فأنت تحبينه .
صدمتها الكلمة . لطمت أذنيها في عنف . . كأن أمها تملك عصا سحرية تقرأ بها أفكارها . . حتى ما كانت تخشى هي من الاعتراف به .
همست تقول في إعياء : أنا لا أحبه . . لا أحبه . . لا يوجد حب في هذا العالم . لا يوجد رجل يستحق حبي .
ولكن الأم ربتت فوق شعر ابنتها الأسود الفاحم فأحست فاتن بآلامها تتضاءل وسكينة عجيبة تتملكها . كان في لمسات

أمها سكينة عميقة تتسلل إلى قلبها وتريحه. وقالت الأم في صوت حنون كأنها تهدهد طفلها : ليس الحب عيباً يا ابنتي ما دام الغرض منه شريفاً. . وليس فشلك في قصة حب سابقة معناه أن الحب قد اختفى من العالم، وأن كل الرجال خائنون. . لا يا ابنتي. . لقد أرسل إليك القدر من يعوضك عن حبك السابق. . إنسان أحبك واحببته. فلا تضيعي هذه الفرصة من يدك. . فالحب يصادفُ الإنسان مرة واحدة في عمره. .

غشيتها راحة عميقة. . كأن كلمات أمها شلال ماء أطفأ نيران قلبها. .

وضعت أمها يدها على حقيقة مشاعرها. . كانت تحب سامح دون شك. . تحبه حباً قوياً عظيماً. . هي نفسها أحست بذلك منذ اللحظة الأولى التي شاهدته فيها، فأسرها برجولته. .

ولم يكن ذلك الألم الخفي في صدرها غير آثار معركة غير مرئية كانت تدور في مشاعرها. . ما بين حبها الذي أنكرته. . ورغبتها في الانتقام. .

ووضعت رأسها فوق كتف أمها وارتاحت. . وأغمضت

عينيـها وهمست تقول لأمـها : عندما يجيء سـامح غداً ليطلب يدي يا أمي . . فسأوافق .

ذهبت في النوم .

*   *   *

«نهاية اللعبة»

السابعة إلا الربع مساء . .

ألقت فاتن نظرة متلهفة على نفسها في المرآة . . كانت في أتم زينتها . . ووجهها يشع ببريق ملتهب من السعادة والفرحة . . وسحر عميق لا يقاوم يطل من عينيها .

تمنت لو تنقضي الدقائق الباقية في غمضة عين وتجد أمامها سامح واقفاً متلهفاً إلى عينيها وقلبها . . وأصابعها .

لكم تشتاق إليه في تلك اللحظة . تتمنى لو أنهما لا يفترقان لحظة واحدة بعد ذلك أبداً . . انتهى الصراع وانطفأت نيرانها . .

أدركت أن العالم أجمل من أن تكرهه . . وأن الحب موجود حتى وإن أنكرته . .

للمـرة الأولى أعطت لنبـيل بعض العـذر لأنه تركـهـا . .
أدركت في تلك اللحظة فقط أنهـا عـاملته بكثيـر من الانانيـة والإحساس بجمالها الفاتن . .

كانت تريده أن يمنح دائماً دون مقـابل . . كأنه ناسك يتعبد في محراب جمـالها . . وبرغم أن قـلبهـا دق بحبه ، فـهي لم تعـتـرف له بهـذا الحب أبداً كـأنهـا تخشـى أن يكون اعـترافـهـا ضعفاً .

وهو قـد تركـهـا وذهب إلى أخـرى تمنحه حـبـهـا دون خشية . . ودون إحساس بتفوق جمالها .

ألقت نظرة أخيرة على مرآتها في رضى .

قررت شيئاً . . ما أن يقع بصرها هلى سامح حتى تعترف له بحبها . .

اعترافهـا له بالأمس كان به بعض الإنكار . . كانت لا تزال تنصب له شبـاك مصيدتها . . لـم يكن اعترافاً مبـرراً . . ولكنها اليوم ستعترف له بكل مشاعرها اعترافاً حقيقياً كاملاً .

ستخـبـره بكل ما جـرى وتطلب صـفـحه . . هي واثقـة من عفوه وتسامحه .

من يحب يغفر .

والتقطت شيئاً قريباً دسته في جيب فستانها . .

كانت صورتها وهي تضحك . . الصورة التي تمنى الحصول عليها وقال أنه لو امتلكها لوضعها بجانب قلبه .

الآن ستمنحه هذه الصورة لكي يحتفظ بها في قلبه إلى الأبد .

دقت الساعة السابعة تماماً . .

هرولت إلى الصالة . . ووقفت أمام باب الشقة متوقعة في كل لحظة أن يدق جرس الباب . . وراقبتها أمها باسمة سعيدة . . تشعر أن ابنتها ولدت من جديد .

همست الأم تدعو لابنتها بالسعادة ومسحت دمعة فرح ترقرت في عينيها . .

راقبت فاتن عقارب الساعة لاهثة . . كأن عقرب الوقت لا يتحرك من مكانه . . والثانية تمر كالدهر .

حاولت التحكم في نبضها المتسارع المتلهف . . واقتربت من نافذة الصالة الزجاجية المطلقة لتلقي نظرة من خلفها . . ولكن المطر المتساقط الذي أغرق الزجاج جعل المرئيات في الخارج تبدو كأشباح عابثة . دوّى صوت الرعد عالياً . . ولمع البرق في لحظة خاطفة . . أعاد إليها المشهد ذكرى مرت منذ

وقت قـريب عـندمـا وقف سـالم فـي انتظارها تحت الأمطار والبرق . . وهي تراقبه عن بعد داخل سيارتها الدافئة ، في تلذذ واستمتاع .

فعضت على شفتيها ألماً وندماً . .

ولكن كان عليها ألا تعكر فرحتها بأي ذكرى حزينة . . ما فات قد انقضى ، وهي ولدت منذ تلك اللحظة بلا سوء .

وظلت عـيناها معلقـتين بالنافذة الضـبابيـة . . تراقب قطرات المطر الثقيلة المذبوحة فوق الزجاج .

مر الوقت بطيئاً .

كانت كـأنها تخشى من النظر إلى ساعـة الحائط . . ولكن عينيها انحرفت إليها رغماً عنها . .

السابعة والنصف!

شحب وجهها قليلاً وضاقت عيناها . . فدق قلبها في عنف متسـائلة عن السـبب الذي أخرّ سـامح كل هذا الوقت . وأتاها صـوت الأم من الخلف مطمـئناً يقـول : لعل المطر أعـاقـه وأخره . . لا تقلقي .

عـادت تراقب قطرات المطر فـوق زجـاج النافذة . . كـأنهـا دموع تسكبها السماء على الأرض .

همست لنفسهـا في قلق: أنه كان من المفترض أن يحـدثها

سامح تليفونياً ليعتذر بأنه سيتأخر قليلاً . . ولكن التليفون ظل على صمته وسكونه كشاهد محايد .

الثامنة تماماً :

تعلق بصرها بعقارب الساعة في توتر . . وتساءلت في قلق عظيم ، هل يمكن أن تكون قد أخطأت في سماعها موعد . . مجيئه . .

ربما يكون قد قال أنه سيجيء في التاسعة أو العاشرة!

هي لا تتذكر ما قاله بالضبط ، وتحس أن ذاكرتها مشوشة تماماً . . تشعر أن قلبها يغوص بين ضلوعها . . تخشى أن يكون مكروه قد أصابه فعطله عن المجيء .

ولكن لم يكن أمامها مفر من الانتظار .

أحست أن ساقيها لا تقويان على حملها فتلمست الطريق إلى أقرب مقعد وجلست صامتة وعيناها معلقتان بعقارب الساعة . .

أخذ الوقت يقفز مهرولاً كأنما تدفعه قوة خفية في الاتجاه المضاد .

وأفاقت على صوت الأم وهي تقول لها في بعض القلق :

لماذا لا تتصلين به في المنزل للاطمئنان يا ابنتي؟

كان حلاً سهلاً مريحاً . .

وامتدت أصابعها مرتعشة ترفع سماعة التليفون . . كان قد أعطاها رقم هاتف منزله من قبل ، فأدارت القرص لتطلبه . .

ولكن الهاتف على الناحية الأخرى ظل يدق طويلاً دون أن يجيب إنسان على حمى رنينه . .

وتضاعف قلقها وتساءلت في توتر شديد : أين يمكن أن يكون قد ذهب في مثل هذه الساعة؟

وتذكرت أنه أخبرها من قبل أنه يضطر أحياناً للذهاب إلى عمله في المساء إذا ما كانت هناك قضية مهمة لا تحتمل التأجيل . .

أشرق وجهها وهتفت لأمها : لا بد أنه انشغل بإحدى هذه القضايا ولم يتمكن من المجيء في موعده ، ليس هناك احتمال آخر .

سألتها أمها : هل تعرفين رقم تليفون عمله؟

قفزت من مقعدها قائلة : لا . . ولكني أعرف مكان عمله وسأذهب إليه ونعود معاً .

راقبتها أمها في صمت ولم تنطق . . خشيت أن تقول ما يعكر سعادة ابنتها .

واندفعت فاتن تغادر الشقة مهرولة .

وأغرقها المطر قبل أن تصل إلى مكان سيارتها على الرصيف الآخر. . وقادتها تجاه مبنى النيابة. .

وهرولت إلى داخل المبنى. سألت أحد السعاة فقادها إلى مكتب سامح وهو يقول لها: لقد تأخر اليك بسبب قضية مهمة انشغل بها. . وقد كان يستعد لمغادرة مكتبه منذ لحظات.

أحست بارتياح فقد حدث ما توقعته. . وهمست لنفسها باسمة بأنها ستلومه على تأخره. .

ولكنها لن تزيد في لومه. . فالليلة لن تسمح لأي شيء أن يعكر صفو فرحتها. وطرقت الباب فأتاها صوته يدعوها للدخول.

وخطت إلى الداخل.

كان مكتبه أنيقاً برغم بساطته، واسمه كان محفوراً على لوحة خشبية مذهبة فوق المكتب. . وخلفه علقت آية قرآنية في إطار فضي. . وبذلته السوداء الأنيقة كانت تزيد وسامته.

وقفت فاتن لحظة ترمقه في لهفة واشتياق دون أن تنطق. .

وتنبهت إلى أنه لم يدعها حتى للجلوس. . وأن ملامحه المقطبة كانت تتفرس فيها كما لو كانت غريبة عنه. . أدهشه منظرها الغارق في المطر. . ومكياجها الذي تبعثر فوق

وجهها، وشعرها الذي التصق برأسها فجعل منظرها يبدو غريباً عابثاً.

وقالت ضاحكة أخيراً: ظننت أن قضية قد عطلتك عن المجيء إلى الموعد.. وقد صحّ ظني.

تساءل في تقطيب أشد: عن أي موعد تتحدثين؟

أدهشها ما قاله وشحب وجهها بشدة. وتساءلت في ذهول إن كان قد نسي الموعد المضروب بينهما؟

قالت في ارتجاف: سامح.. هل تعني ما تقول حقاً أنك نسيت الموعد الذي أعطيته لي.. لكي تجيء إلى منزلنا تطلب يدي من والدتي؟

انفرجت ملامحه عن ابتسامة.. ابتسامة اتسعت لتشمل نصف وجهه.

ابتسامة ساخرة.

في حياتها لم تشاهد ابتسامة ساخرة إلى هذا الحد ولم تكن تظن أن مثل تلك الابتسامة الجارحة يمكن أن ترتسم على شفتيه هو بالذات.

وراقبته وهو ينهض في بطء من مقعده ويقول لها: مدهش.. وهل ظننت أنني سآتي حقاً؟

شحب وجهها وتسارعت أنفاسها وهمست رغماً عنها.
- ماذا تقصد بذلك؟

هز كتفيه في لا مبالاة وقال: ما أقصده واضح وليس فيه أي لبس.. أنت كنت تتظاهرين بحبك لي وتنسجين شباكك على صيد جديد.. وأنا فعلت نفس الشيء.. وكان مفترضاً أن تدركي أن وعدي كان مجرد كلمات غير جادة.

أحست فاتن أنها تلقت لطمة.. كأنها تتهاوى من علو. وتماسكت لكي لا تنهار وتفقد وعيها.. وهمست تتشبث بأمل أخير..: مستحيل أن تكون قد قصدت ما قلته.. أنت تمزح دون شك.

أجابها في قسوة: ولماذا تظنين أنني أمزح.. إنها اللعبة التي وضعت أنت قواعدها من قبل، والتي مارستها من قبل عشرات المرات.. فلماذا تخرجين على قواعدها هذه المرة.. ولماذا تندهشين أن يمارس معك أي رجل نفس اللعبة وبنفس قواعدها؟

تراجعت فاتن للوراء بعينين متسعتين عن آخرهما يطل منهما ذهول قاتل.. وغمغمت كالذبيحة: لا.. مستحيل أن يكون ما قلته حقيقة.

واجهـها بسخـرية أقسى : دعك من هذا التظاهر فقد صار ورقنا مكشوفاً نحن الاثنين . أنت كنت تتسلين وأنا أيضاً .

وسدد أصبعه تجاهها كطلقة رصاص قائلاً : أنت آخر فتاة يمكن أن أفكر في الزواج منهـا . . فمـثلك لا تصلح للزواج أبداً ، وقد أخبرتك من قبل أنني لم أتعود على الخسارة أبداً . . وهأنذا أثبت لك صدق ما قلته .

تراجعت فاتن الى الخلف محدقة في سامح وهي تحس أن قلبها قد توقف عن الخفقان . .

وتوقفت عندما اصطدم ظهرها بالحائط خلفها في عنف .

مدت يدا مشلولة نحو مقبض الباب لتفتحه . . وعيناها سجينتان فوق وجه سامح القاسي كأنه لا يحتمل مجرد بقائها أمام عينيه . . وأصابع يدها الأخرى تطبق على صورتها الضاحكة في جيبها وتوشك أن تمزقها وتخنق ضحكتها .

وقبل أن تغادر المكان جاءها صوته كأنه قادم من عالم بعيد يقول : أريد أن تعرفي شيئاً . . وهو أنني صديق حميم لسالم الذي مارست معه نفس اللعبة قبلي وحطمت قلبه بغشك وخداعك . . وتظاهرك بحبه قبل أن تصدميه بحقيقتك . وقد أقسمت أن أنتقم منك بنفس الطريقة وأحطم قلبك أيضاً

لتذوقي طعم الخسارة كما أذقتها للكثيرين قبلي .

وأضاف وابتسامة شماتة وظفر تتلاعب فوق شفتيه : ويبدو أنني أصبت نجاحاً أكثر مما توقعت . . ويسرني أن أخبرك بأنني قررت العودة إلى خطيبتي الأولى . . على الأقل لأنها لم تمارس معي لعبة من أي نوع . . وليست من الصنف الذي يحترف هذه الألعاب .

* * *

«التطهر»

لم تذرف فاتن دمعة واحدة إلى أن غادرت المكان .

في بعض الأحيان يكون الألـم أقوى من الدموع ومن كل الأحزان . .

هي لا تدري كيف غادرت مكتب سامح . . ولا كيف اندفعت تجري تحت الأمطار التي بدت وكأنها تبكي عليها . وليس من إنسان يخفف عنها .

وعندما ألقت بنفسها فوق فراشها أمكنها أن تبكي أخيراً في حرقة كالنار . . وبقايا صورتها الضاحكة ممزقة أسفل فراشها .

وأدركت أمها الحقيقة المؤلمة . . كأن القدر يصر على مطاردة ابنتها دون هوادة في أحزان متتالية . .

وبكت فاتن حتى لم تعد في عينيها أي دموع . . ولم يعد لديها حتى القدرة على البكاء . .

ورقـدت في فـراشـهـا هزيلة عليلة . . ترفض أن يراها طبيب . . وليس لأي طعام مذاق عندها . . كأنها تتمنى الموت لتتخلص من عذابها وآلامها . عندما تركها نبيل لـم تحزن بهذا القدر . . ولم تبك . . ربما لأنـها لم تحبـه بنفس القدر . . وربما لأنها لم تحبه على الإطلاق . .

انما ما أغضبها هو أنه تركهـا لأخرى . . فاعتبرت ما حدث إهانة وجرحاً لكرامتها وأنوثتها . .

هذه المرة تختلف . فإنها أحبت وتمنت .

ولم تتخيل أبداً أن يفعل بهـا من أحبت ذلك . . وأن تكون كلماته خداعـاً وهمساته زيفاً ونظراته تمثيلاً . . لم تتخيل لحظة واحـدة أنه كان فـقط يسعى للانتقـام . . وأن كل كلمة غـزل وحب همس بها إلى قلبها كانت كاذبة وزائفة .

لا تكاد تصدق ذلك . . تحسب أنه كابوس . .

كثيرون غيره همسـوا لها بكلمات اللوعة والاشتياق والحب عن صدق ومن أعماقهم ، فلم يستجب قلبها لكلماتهم ونبض قلوبهم وخدعتهم وغشتهم وأذاقتهم مرارة الخديعة .

وهو الذي همس لهـا كذباً . . استـقرت كلمـاته وحبـه في أعمـاقهـا . . واختـاره قلبهـا دون الآخرين . . ولكنه هو أيضاً

اختار فتاة غيرها رأى أنها أفضل منها . . بالرغم من أنها أحبته في صدق؟

لماذا يا ربي . . لماذا؟

ولكنه عقاب القدر فلماذا تشكو؟ إنها تشرب من نفس الكأس . . الآن فقط يمكنها أن تحس كيف كانت مشاعر كل من وهبوها حبهم عن صدق . . فمزقت مشاعرهم وداستها بقدميها في لعبة مجنونة ، لم تكن تدري أن الألم جارح الى تلك الدرجة . .

وفشلت أمها في التخفيف عنها خلال أسبوع كامل . . وبقيت هي في فراشها لا تغادره . وعيناها شاردتان إلى النافذة الباكية بماء المطر . وامتدت أصابعها تمسك بالصورة التي رسمها لها . . كانت الملامح مشوهة قبيحة . . وكأنه كان يتعمد أن يظهرها على حقيقتها .

لم تفهم ما قصده بذلك وقتها . . وها هي الصورة المشوهة التي رسمها لها ، تعبر عن نظرته إليها .

أغمضت عينيها في حرقة . . وطرق الباب . . ففتحته الأم . .

ولم تشعر فاتن إلا ومنال تخطو إلى فراشها .

أدهشـها مجيئـها . . وتطلعت إليها بوجه شاحب وعينين انطفأ بريقهما .

وهمست منال تقول في ألم وإشفاق : كيف حالك يا فاتن؟

فأجابتها فاتن في قسوة : كما ترين . . في أسوأ حال .

وعضت شفتيها وهي تقول : لا بد أنك عرفت وجئت للشماتة . . أليس كذلك؟

شحب وجه منال وقالت في لهفة :

ـ أنا . . لا . . مستحيل . . كيف تفكرين في ذلك؟

كان في لهجتها صدق وألم . . وقالت في إشفاق : أنا لم أعرف بما حدث لك إلا أمس صدفة . . ولم أستطع أن أمنع نفسي من المجيء إليك . . فقد أدركت أنك في محنة وفي حاجة إلى صديق .

ارتعشت شفتا فاتن وهي تمنع نفسها من الانفجار في البكاء . . كانت في حاجة الى صديق بالفعل ، بالرغم من كل ما فعلته مع هذا الصديق . وامتدت ذراعا منال في حنان تطوقان فاتن التي انفجرت باكية بين ذراعي صديقتها ، وارتج جسدها كله في نشيج عنيف وهي تقول : سامحيني يا منال . . أنا أخطأت في حقك .

مسحت منال على رأس فاتن في رقة قائلة : أنا لم أغضب منك أبداً. فقط كنت أخاف عليك من عاقبة ما تفعلينه . . وها قد حدث ما كنت أخشاه .

ومدت أصابعها تمسح دموع صديقتها وقالت : ولن يغيرك ما حدث ويجعلك تسيئين الظن بالعالم كله ، فلا ترين فيَّ غير صديقة سابقة جاءت للشماتة والسخرية .

عضت فاتن على شفتيها في قسوة كأنها تتعمد إيلام نفسها قائلة :

ـ لا . . ليس العالم كله غشاً وخداعاً .

فتأملتها منال في دهشة وقالت لها : من العجيب أن تقولي ذلك . . بعد تلك التجربة المؤلمة مع سامح .

نكست فاتن برأسها لتخفي أحزانها وقالت :

ـ لقد أحببت بصدق . . والحب يطهر قلوبنا ويجعلنا نحب العالم كله . . حتى وإن رفضنا هذا العالم .

وهمست في إعياء مضيفة : أنت كنت على حق في أنني لم أكن أستحق نبيل . . وأنني كنت أنانية معه وأردته أن يمنح دون أن يأخذ .

ربتت منال على كتف صديقتها في رقة قائلة : لن يفيد

تذكر الماضي في شيء .

ـ تذكر الماضي يفيد في الحاضر كي لا نكرر نفس الخطأ .

وهمست في ضعف أشد : وأنا أحببت سامح في صدق . . ولكن حبي لم يمس قلبه . . وكل ما رآه فيّ كان مجرد دمية جميلة مغرورة أراد تحطيمها كما حطمت الكثيرين من قبل ، والانتقام منها لما فعلته بصديقه .

همست منال في توسل :

ـ أرجوك يا فاتن كفى . .

واصلت فاتن : أنا لست نادمة الآن إلا على هؤلاء المساكين الذين أوقعهم سوء حظهم في حبي . . وصدقيني . . إنني شاكرة ما فعله بي ، فقد جعلني أرى نفسي على حقيقتها . . وجعلني أعيد اكتشاف نفسي وأعرف كم كنت قاسية بلا قلب .

ـ كنت أظن أنك ستمقتينه وتكرهينه لا أن تلتمسي له العذر .

قالت فاتن في صوت أقرب الى الهمس :

ـ بالعكس . . فماذا فعل هو أكثر مما فعلت أنا . . كنا نلعب لعبة خطرة ، وكنت أنا أحاول عقابه من جانبي دون ذنب أو

سبب منه . . أما هو فكان على حق في محاولة عقابي . . لأنني كنت أستحق ما جرى لي . . صدقيني أنا الآن أفضل مما كنت . . وبداخلي يقين أنني نلت عقاباً عادلاً أستحقه ولا يحق لي أن أشكو بسببه أبداً .

ورفعت أهداباً مبللة بالدموع وهي تسأل : ماذا يقولون عني في النادي الآن بعد أن عرفوا حكايتي مع سامح . . هل هم شامتون فيّ . . هل هم ساخرون مني . . من المؤكد أن سيرتي صارت على كل لسان ، وأنني أصبحت مصدراً للسخرية ، وأن سامح لم يترك إنساناً لم يخبره بما فعله معي .

راقبت منال صديقتها في إشفاق قائلة :

وأنت مخطئة يا فاتن . . فإن أحداً في النادي لم يعرف بحكايتك أبداً . . فإن سامح لم يفتح فمه بكلمة واحدة ، بل لم يذهب إلى النادي بعدها أبداً .

أدهش فاتن ما سمعته . . ظنت أن سامح سيذيع في النادي فخراً بأنه أذاق فاتنة الجزيرة من نفس الكأس ، وتركها باكية محطمة ذليلة . . وهمست تسأل صديقتها :

ـ ولكن . . كيف عرفت أنت بما حدث لي؟

ـ لقد أخبرني سالم بذلك .

ـ سالم؟

تساءلت فاتن في دهشة وحيرة . . وواصلت منال في بعض الارتباك : لقد أخبره سامح بكل التفاصيل . . وفوجئ سالم بما حدث ، فهو لم يكن يرغب أبداً في أن يفعل سامح ذلك بك ، فليس من صفات سالم الانتقام . . ولكن سامح تصرف دون أن يخبره والتحق بالنادي وسعى خلفك في نفس اللحظة التي سعيت أنت إليه . . ولم يستطع إنسان أن يمنع ما كان مقدراً منذ البداية .

عضت فاتن شفتيها في ألم وقد عاودتها الذكرى الحزينة . . وأرادت أن تهرب من آلامها فهمست تقول لصديقتها :

ـ وأنت . . أين رأيت سالم . . ولماذا أخبرك وحدك بما حدث؟

ارتبكت منال وأحنت رأسها كأنها تعترف بذنب وقالت :

ـ أنا . . أقصد أنني وسالم قررنا أن نتزوج بعد شهر .

حدقت فاتن في صديقتها بدهشة وحيرة دون أن تفهم سر تلك العلاقة المفاجئة ، وتبسمت منال فأنار وجهها شعاع من السعادة وقالت :

ـ سأعترف بشيء قد يكون مفاجأة لك . . فمنذ وقت

طويل وأنا معجبة بسالم وكنت أحبه في صمت . . ولذلك تألمت بشدة لأنه لم يلتفت لمشاعري في الوقت الذي انجذب فيه إليك . . ولم أستطع أن أشرح له الحقيقة وأحذره منك برغم خوفي عليه مما كنت أعرف أنه سيلاقيه على يديك .

وترقرقت الدموع في عينيها وهي تضيف : كانت صداقتي لك ورغبتي في ألاّ أفقدك ، تمنعني من أن أحذر حتى الانسان الوحيد الذي اختاره قلبي من الوقوع في شباك حب زائف ، ولأنني كنت سأخسرك لحظتها وهذا ما كان سيعذبني دائماً .

ارتعدت شفتا فاتن . . وأرادت أن تبكي دون أن تجد دموعاً وهمست في ألم حارق : يا إلهي . . لكم كنتِ فتاة نبيلة . . ولكم وطأت مشاعرك بقسوة دون أن أدري .

أشرق وجه منال بفرحة وقالت :

ـ ولكن كل ذلك تغير الآن . . فقد كان سالم في حاجة إلى إنسان يقف بجواره في محنته . . ولحظتها اكتشف مشاعري الحقيقية تجاهه فاتفقنا على الزواج بعد أن أخرجته من محنته . . وأنا واثقة أنه وإن كان سيرتبط بي بعقله الآن . . فسوف يحبني يوماً ما . لأنني سأمنحه كل مشاعري ولن يكون في حياتي سواه .

احتضنتها فاتن وهي تخفي دموعها قائلة :

ـ إنني أتمنى لك حياة سعيدة .

حدقت منال في وجه صديقتها سعيدة بحنان بالغ وقالت هامسة :

ـ وبرغم ما حدث فأنا أدين إليك بالفضل في اقتراب سالم مني وإدراكه لمشاعري . . فلولا تجربته القاسية معك ما انتبه لمشاعري أبداً وحبي له . . إن القدر يتصرف أحياناً بطريقة عجيبة فيقسو في اللحظة التي تنتظر أن يمنح فيها . . ثم يعود ليفعل العكس .

ألقت فاتن ببصرها إلى النافذة المغسولة بمياه الأمطار وقالت: معك حق . . ففي الوقت الذي اختار قلبي فيه رجلاً ليهبه حباً حقيقياً ، بدلاً من الغش والخداع ، كان هذا الرجل هو الوحيد الذي منحني حباً زائفاً . . وفي نفس اللحظة التي كان مفروضاً فيها أن أشعر باليأس وتزداد كراهيتي للعالم كله كنت أحس أنني ولدت من جديد . . وأن حبي لسامح قد طهرني من كل الشوائب ، بالرغم من أنه رفض هذا الحب وسخر مني .

ورفعت عينيها إلى صديقتها . . كان بداخلها سؤال يكاد يمزقها . . وكانت كرامتها الجريحة تأبى عليها أن تنطق به ،

ولكنها لم تستطع المقاومة طويلاً، فهمست : وسامح . . ماذا قال لك سالم عنه؟

ظهر الحزن والألم على وجه منال، وهمست في إشفاق تقول لفاتن : لقد تقدم بطلب نقله إلى أسوان . . وقد سافر اليوم إلى هناك ليتسلم عمله الجديد .

أغمضت فاتن عينيها في ألم جارح: لم تصدق ما سمعته .

كانت تعرف أنه لن يكون لها أبداً . . ولن يصدق في لحظة أنه أحبته بصدق، وأن اللعبة انقلبت إلى حقيقة . . وأنها تمنته زوجاً وحبيباً .

كان الأمر بالنسبة له مجرد لعبة يفوز بها الطرف الأقوى . . وهو ما اعتاد الخسارة أبداً .

كان أقصى ما تمناه في تلك اللحظة أن يكون قريباً منها ولو استحال عليها حتى رؤيته . . ولكن حتى ذلك الأمل الواهي تبدد سريعاً .

كان كالشهاب الذي أضاء في حياتها لحظة خاطفة . . ثم رحل سريعاً مخلفاً حوله بقايا محترقة .

وصار يفصله عنها مئات الأميال . . ولا يمكنه حتى أن يعرف أنها ما صارت تتمنى رجلاً غيره . .

كان عليها أن تعاني وتتمزق . . مثلما فعلت بالكثيرين .

همست منال تقول لها في رجاء : عدينى أن تحضري ليلة زفافي إلى سالم .

فأجابتها فاتن وهي تشعر بأحزانها مضاعفة : أعدك .

ومدت أصابعها المرتعشة تمسح دمعة ترقرت في عينيها

* * *

«الزفاف»

غادرت فاتن فراشها بعد أيام طويلة من الرقاد . . جعلت منها المحنة فتاة أخرى أكثر صلابة . . ففي أحيان كثيرة لا يكون هناك فضل للمحنة على الإنسان ، غير أنها تصهره وتظهر معدنه النقي . . برغم كل الجراح والآلام .

وكان أول ما فعلته أن التحقت بمكتب أحد المحامين للعمل كمحامية تحت التمرين . . وهي تتذكر عبارة سامح التي قالها لها أن العمل يمنح الإنسان قيمة أكبر . .

وهي كانت تريد أن تنسى جمالها . . الذي كان سبباً في كل تلك الآلام . .

وفي عملها قابلت الكثيرين من العملاء . . ممن بهرهم جمالها الفاتن . . ولكنها صدت الجميع في لطف ودون أن

تجرح مشاعرهم . . وأدرك الجميع ان في حياة تلك الفاتنة سراً مجهولاً وان اي رجل مهما كان لن يستطيع أن يحتل مكاناً ما داخل القلب الجريح .

وحانت ليلة زفاف سالم ومنال . .

وذهبت فاتن إلى حفل الزفاف في ملابس بسيطة أنيقة . . وما أن أهلّت على الحاضرين حتى تعلقت عيونهم بها في إعجاب ووله . . واتجهت فاتن إلى منال تحتضنها وتقبلها وتتمنى لها السعادة . وصافحت سالم وتقابلت عيونهما رغماً عنها .

لم يكن في عينيه لوم أو عتاب أو كراهية . . كانت نظراته تقطر تسامحاً . . وكأن سعادة تلك اللحظة قد أنسته كل ما كان . . وقال لها سالم منتشياً : شكراً لك يا فاتن . . فلولاك ربما ما انتبهت أبداً إلى أجمل شيء في حياتي .

واحتضنت نظراته منال في حنان بالغ . . فأدركت فاتن أن خيط الحب قد جذب سالم إلى منال . . وأنه لا يتزوجها بعقله فقط .

وتنهدت فاتن في ارتياح وهي تشعر أن أحد ذنوبها قد غفر . .

وجاهدت لتمنع نفسها من ذرف دمعة حزينة أهاجتها الزغاريد ومظاهر الفرح حولها . . وقلبها المثقل بالأحزان يوشك أن ينفطر بحثاً عن لحظة سعادة مفقودة ، يستحيل أن تجيء أبداً .

وعندما همت بمغادرة المكان تشبثت منال بها هاتفة : انتظري يا فاتن . . لا تذهبي الآن .

وكان في عينيها حديث لم تنطق به . . حديث عجيب فشلت فاتن في أن تفشي أسراره . .

وانتظرت قليلاً لإرضاء صديقتها .

ثم استدارت لتغادر المكان دون أن يشعر بها إنسان . .

وشاهدته . .

شاهدته وهو يقبل عليها وعيناه مصوبتان إليها . . تطوقها . . تتمسح بها . . تطوف في محرابها .

وفوجئت فاتن بظهور سامح المباغت . . وكأنها فهمت سر نظرات منال التي دعتها للبقاء .

وشلت أطرافها . . أحست كأن حلم العمر الوحيد قد تجسد في لحظة خاطفة . . في أن تراه لو لثانية قبل أن يغيب عن عينيها إلى الأبد .

وقفت مشدوده تحدق فيه كأنه قد قيَّد نظراتها بأسر جاذبيته

ورجولته . . وقسوته .

ثم أفاقت سريعاً وأدمتها كرامتها الجريحة . . وجاهدت لتكبت دمعة كادت تفلت منها . . دمعة جريحة متخمة بالجراح .

واندفعت مهرولة تغادر المكان .

وجاء صوته من الخلف يناديها . . ولكنها لم تلتفت . . أغرقتها دموعها فاندفعت إلى سيارتها تفتح بابها . . ولكنه جذب يدها في رفق . . في حنان . .

واستدارت إليه . . كانت دموعها تصنع غمامة ضبابية فوق ملامحه حتى أنها لا تكاد تميزه . . وقالت في صوت باك : ماذا تريد مني . . هل جئت لتؤكد لي فوزك وأنك لست الرجل الذي يخسر أمام فتاة أبداً . . لقد عرفت ذلك منذ زمن بعيد ، ولم يكن هناك داع لمجيئك .

أجابها في صوت مرير : ليتني خسرت لكي لا أتعذب كل تلك الايام الطويلة الماضية . . وليتني مت فلا أرى الدموع التي أراها في عينيك الآن .

همست في لوعة ودون وعي : بعد الشر عنك .

فقال في ألم : كأنك تخشين علي ، ولا يزال لي في قلبك

موضع كريم . . برغم كل ما فعلته بك .

استدارت لتخفي عنه مزيداً من الدموع هامسة في توسل : أرجوك دعني أذهب . . فلم يعد الحديث يفيد بشيء .

ولكنه واصل الحديث المتألم : إن ذهبت فسأذهب ميتاً . . ولن تعاودني الحياة مرة أخرى .

وأحست بأصابعه الدافئة تمس أطراف أصابعها وهو يواصل همسه الحزين : سامحيني . . أنا أخطأت في حقك وجئت معترفاً بنذالتي وخطئي . .

اكتسى وجهها بالأسى وقالت : نحن الاثنان متعادلان . . وأنت توليت الانتقام لآخرين أنا انتقمت منهم قبلك فلماذا أشكو؟

أغمض سامح عينيه كأنه يجاهد آلاماً لا تطاق ، ثم قال وهو لا يكاد يراها أمامه : أنا أعترف لك أن البداية كانت بغرض الانتقام . . سعيت إليك في النادي وليس في قلبي غير تحطيم تلك الفتاة القاسية القلب الأنانية التي لا تجيد غير تحطيم أحلام الأبرياء وممن يصعقهم جمالها . . أدماني مشهد صديقي المتألم الذي ذبحته لعبتك فصممت على الانتقام منك . . ولكن . .

وتهدج صوته . . ارتعش . . وأحست فاتن أنه يعاني من

الحمى . .

استدارت إليه . . واجهته . . رأته يبذل مجهوداً خارقاً ليتماسك . . وواصل في ألم حاد :

لكن الأمر لم يعد بيدي بعد ذلك . . صدقيني . . فقد وجدت نفسي أسقط أسيراً ، تحاصرني حراب رقتك وسهام فتنتك . . ووجدت نفسي اعاني الهزيمة أمام قوة غريبة تنبعث منك ولا أقدر على مقاومتها . . وأدركت أنني أيضاً سقطت في حبك . . رغماً عني .

وادار وجهه بعيداً وفاتن تراقبه غير مصدقة . . كان الأمر أقوى من قدرتها وحواسها .

وواصل الهمس في صوت متهدج : وخشيت أن يكون مصيري ككل من سبقوني إليك وأوقعهم سوء الحظ في طريقك . . خفت إن أفصحت لك بمشاعري الحقيقية (كما بدأت اللعبة) أن يكون الثمن طعنة جديدة تسددينها لي . . وهذا ما جعلني أستمر . . واتابع اللعبة حتى نهايتها وأنا أتمزق وأتعذب .

همست دون إرادة : مستحيل . . مستحيل أن تكون هذه الحقيقة . . صدقني أنا لست في حاجة لأن تقوم بتهوين ما

فعلته معي . . فقد كنت أستحق كل ما جرى لي .

ولكنه واصل الحديث في توكيد : صدقيني . . فإن كل كلمة نطقت بها أمامك الآن هي الحقيقة . ولم أكن أظن أنك ستنجذبين لي أبداً . . وأن قلبك سينبض بحبي .

جاهدت فاتن لتتماسك وأحزانها تتجدد عاتية جارحة ، وهمست في ألم : أرجوك اذهب عني ودعني . . تكفي كل الاكاذيب التي نسجتها عليّ من قبل . . لم يعد هناك شيء يمكن أن يفيد . فما الذي أتى بك ثانية؟

تشبث بمكانه ولمس أصابعها وهو يرتعد ، وقال في صوت محموم : لو كنت أكذب عليك لما سافرت إلى أسوان بعد ما حدث بيننا . . لقد سافرت إلى المنفى بإرادتي لأهرب من عذابي وألمي لما فعلته بك ، وكأنني أريد أن تفصلنا مسافات لا حد لها ، عسى أن أتمكن من النسيان ويرتاح قلبي دون فائدة . ولو أنني كنت أكذب عليك . وأسعى إلى الانتقام لذهبت إلى النادي وأذعت كل ما كان بيننا من أجل الشماتة أو أكمل انتقامي .

عضت فاتن على شفتيها وهي لا تدري بماذا تجيب .

كان عقلها مشلولاً وتشعر بدوار شديد . . لا تدري أين

الحقيقة من الكذب . . تعطلت غريزتها تماماً .

وأخرج سامح من جيبها ظرفاً ممتلئاً . . مده إليها هامساً في رجاء : افتحيه وألقي نظرة على محتوياته .

ووجدت نفسها تنساق لإرادته رغماً عنها . . دون أن تعرف لماذا تخضع له بتلك الطريقة . . وفوجئت بصور عديدة تملأ الظرف .

صورها هي . .

كلها كانت بريشته . . وكلها كانت تمثلها في مشاهد عديدة . . عندما تقابلا أول مرة في النادي . . عندما جلست لتشرب الشاي . . عندما هرولت مبتعدة عنه . . حتى عندما جلست بانتظاره في منزلها دون أي يجيء . . تخيل المشهد ورسمه فجاء صادقاً إلى حد عجيب .

ورفعت أهدابها إليه حائرة . . فقال في ألم : لم يكن لدي من عزاء غير أن أسترجع كل لحظة كانت بيننا وأن أسجلها حتى لا يفقد قلبي مسرة واحدة مرت به . . ولولا هذه الصور ، لربما قتلني الحزن والندم والألم . . فقد كان تخيل ملامحك على الورق يخفف عني كثيراً .

ارتعشت شفتاها دون أن تدري . . أدركت في تلك

اللحظة أنه رسم الصورة الأولى لها متعمداً أن يبرز ملامحها خشنة قاسية. . تماماً كما كان يراها في تلك اللحظة. . . .
أما تلك الصور الأخرى؟

وأفاقت على صوته يهمس لها : لقد أخبرتني منال بالحقيقة. . وأنك كنت تنتظرين مجيئي حقيقة لأطلب يدك. . وبعد أن عرفت كل شيء. . كدت آتي إليك طالباً عفوك وسماحك على ما فعلته بك. . وغالبت نفسي أياماً طويلة، ولم أتمكن بعدها أبداً من مواصلة المقاومة. . وعرفت أنك ستأتين حفل الزفاف. . فأتيت أنا أيضاً.

ونكس بصره في ألم حار مضيفاً : أنا الآن لا أطالبك بشيء. . وأعرف أنني تسببت لك بآلام لا تحتمل، ولن أستطيع طول عمري كله أن أمحو هذه الآلام عنك. . كل ما أرجوه منك أن تسامحيني، وتدركي أنني قد أحببتك في صدق. . وأنني كنت أعيش في صراع قاتل، وأنا أعلن لك رفضي وكراهيتي في الوقت الذي كنت أعشقك فيه بكل ذرة في قلبي. .

أوجعتها كرامة الأنثى فقالت متألمة : وخطيبتك الأولى التي أخبرتني أنك ستعود إليها. . لأنها ليست من الصنف الذي

يحترف مثل تلك الألعاب؟

عض شفتيه في قسوة كأنه يرغب في تمزيقها وكأنه يود لو أن شفتيه شلتا ولم تنطقا بما قالته أبداً . .

لم تره فاتن على تلك الحال من الندم والألم أبداً . . ولم تكن تصدق أن قوته يمكن أن تخالجها لحظة ضعف بمثل هذا الشكل .

وأجابها في أنين : لم يكن لتلك الخطيبة وجود أبداً. أنا اختلقتها فقط لتكتمل قواعد اللعبة .

وارتعدت فاتن في مكانها . .

كان كل جزء في بدنها يرتجف . . لا تكاد تصدق أنه قال ما قاله . . لا تكاد تصدق أنه أحبها بالفعل برغم كل الأدلة التي ساقها لها .

خشيت أن يكون قد جاء يمارس معها لعبة من نوع جديد . . ولم يكن في قلبها موضع جديد للجراح .

ولكنه همس في إعياء يقول : وداعاً . . سوف أغادر حياتك إلى الأبد . . ولكن لي رجاء واحد .

وارتجفت شفتاه وهو يتمتم كالمحموم : إنني أرجوك ألا تكرهيني . . لأنني أحبك .

فهرس

لعبة الحب

كانت هي فاتنة نادي الجزيرة.. الحسناء التي تخلب اللب والأبصار.. والتي دقت قلوب كثيرة بحبها.

ولكنها لم تكن في الحب غير لعبة كبيرة.. كانت تلعبها بمهارة دون أن تبالي بمن تحطم قلبه في طريقها. إلى أن انقلبت المقاييس القدر وجهاً لوجه أمام الحب الحقيقي تنتهي اللعبة ؟

